سلسلة دروس في العقيدة (٧)

٨ رس

نقض كلام المفترين على الحنابلة السلفيين

بقلم
أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي
قاضي المحكمة الشرعية
بدولة قطر

مكتبة ابن القيم
دار الصميعي للنشر والتوزيع

الناشران:
دار الصميعي للنشر والتوزيع
هاتف ٤٢٦٢٩٤٥ ص.ب ٤٩٦٧ الرياض ١١٤١٢
ومكتبة ابن القيم
هاتف ٨٦٣٥٣٣ الدوحة - قطر



سلسلة دروس في العقيدة (٧)

نقض كلام المفترين
على
الحنابلة السلفيين

تأليف / أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي
قاضي المحكمة الشرعية الأولى
بدولـــة قطـــر

مكتبة ابن القيم
هاتف ٨٦٣٥٣٣
الدوحه - قطـر

دار الصميعي للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ··· اما بعد : فيقول الفقير الى الله أحمد بن حجر « انه قد ورد الى سؤال من اخ عماني فاضل يقول فيه : كنت بالامس اطالع فصلا من كتاب (ضحى الاسلام للاستاذ احمد امين) عن المعتزلة وفلسفتهم الكلامية ومسائلهم الاعتقادية ، ومنها مسألة خلق القران ، وفي هذه المسألة استوقفت نظرى العبارة التالية ـ نقلها عن الحنابلة في (ج٣ص٣٩) وهي (وفريق آخر من بعض الحنابلة زعم ان القران بحروفه واصواته قديم وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا : الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف) ·

وأشار الى انه نقلها من كتاب المواقف (ج٣ص٧٦) ·

كما ان الرأى نفسه نقل عنهم من كتاب (نهاية الاقدام) للشهرستاني (ص٣١٣) في عبارة مماثلة فما هو نصيب هذا النقل من الصحة ؟ وماهو موقف الفحول الكبار كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من هذا القول ؟

أرجو من فضيلتكم توضيح هذه المسألة من جميع جوانبها واعطائها حقها من البحث والتحليل والتحقيق والله يرشدكم الى الصواب ···

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الانبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، وعلى الائمة المهتدين اجمعين :

اما بعد : فقد كنت اجبت عن هذا السؤال الذى ارسله اخونا الفاضل العمانى فى عام ١٣٩١هـ — والآن بدا لى ان اراجع السؤال والجواب واعيد النظر فيهما ، وبالفعل قمت بالنظر فى السؤال والجواب ، وزدت فى بعض مواضع الجواب زيادة فى الفائدة للقراء والواقفين على هذا السؤال والجواب — أسأل الله ان ينفع بهذا الجواب الشافى ، وان يثيبنى فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ٠

فاقول وبالله التوفيق :

قد وقفت على ما ذكره أحمد امين فى كتابه (ضحى الاسلام — الجزء الثالث) فاذا هو كما ذكره السائل عنه فقد نقل عن (المواقف) (ونهاية الاقدام) للشهرستانى ما نسباه الى بعض الحنابلة مما هو مذكور فى السؤال بالنص الذى ذكره أحمد امين ، ولكن بالرجوع الى كتاب المواقف لعضد الملة والدين عبد الرحمن بن احمد الايجى ، وجدت عبارته فى المقصد السابع فى ان الله متكلم ، قال « بعد عبارات ساقها ، ثم قال الحنابلة » كلامه حرف وصوت ، يقومان بذاته وأنه قديم ، وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا : الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف ٠

فاذا قارنا بين ما نقله أحمد امين عن المواقف وبين عبارة المواقف وجدنا فى العبارة فرقا لان عبارة احمد امين تقول « وفريق آخر من

بعض الحنابلة زعم ، وعبارة المواقف ، وقال الحنابلة » ولم تقل العبارة » وفريق اخر من بعض الحنابلة ، ولم تقل زعم بل قالت « قال الحنابلة » وقال أن القران بحروفه وأصواته قديم ، والحال ان عبارة المواقف كلامه حرف وصوت يقومان بذاته ، وأنه قديم ، ولم تقل العبارة : القران بحروفه واصواته قديم ، ولا شك أن بين العبارتين فرقا ، وبيانه أن قوله : بحروفه ان كان الضمير راجعا للقران فهو معقول ، لكن واصواته ، فان كان الضمير للقران فهو فاسد ، لان القران لا صوت له وان كان يقصد صوت القارىء فلم تقل الحنابلة بقدمه كما سيأتى وعبارة المواقف ليس فيها اضافة الى الضمير حتى يرد عليها ما يرد على ما نقله احمد امين ، وانما قصد صاحب المواقف ان يقول أن الحنابلة تقول « كلام الله قديم مع كونه بصوت وحرف خلافا للأشاعرة ولا تعطى عبارته صوت القارىء وانه قديم ، وان بعضهم نسب اليهم هذا ·

فعبارة احمد امين توحى ان كلام المواقف حول القران ، وليس الأمر كذلك ، بل عبارة المواقف عن كلام الله من حيث هو بقطع النظر عن القران وغيره ، ومن المقارنة بين العبارتين يتبين بكل وضوح ان أحمد امين لم يتحر الدقة فى النقل ، ولعله نقل بالمعنى وتصرف فيه ، أما قوله : نقلا عن المواقف وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا : الجلد والغلاف قديمان ، فهذه العبارة نقلها صحيح من المواقف (اما كلمة فضلا عن المصحف) فهذه الكلمة من الشراح وليست من متن المواقف ·

وها انا أشرع فى الجواب بعون الملك الوهاب ، فاقول ان هذا السؤال يشتمل على مسألتين :

(الاولى) : قوله (وفريق اخر من بعض الحنابلة زعم ان القران بحروفه وأصواته قديم) ·

فيقال فى الجواب : قوله (بحروفه) ان كان الضمير راجعا للقران فهو معقول ، لكن (واصواته) فان كان الضمير للقران فهو فاسد كما سبق ، لان القران لا صوت له ، فماذا يقصد الكاتب او الناقل ، من هذه العبارة ·

فان كان يقصد صوت البارىء ، فما هنا مرجع اليه ، والمرجع هنا هو القران ، وان كان يقصد صوت القارىء :

فجوابه :

لم يقل احد من الحنابلة ان صوت القارىء قديم ـ كما سياتى ـ بل اطلاق القديم على كلام الله لم يرد عن السلف ، ولا عن الامام احمد ، ولا محققى الصحابة ·· نعم قد يطلق بعضهم لفظ قديم على كلام الله تجاوزا ويقصد بذلك أنه غير مخلوق كما سياتى فى كلام ابن قدامه والسفارينى

وانما يقولون : القران كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود·

(ثانيا) لا مرجع للضمير هنا الا القران ـ كما سبق ـ نعم هناك قول لطائفة من اهل الكلام والحديث : أن كلام الله بقطع النظر عن القران حروف واصوات ازلية مجتمعة فى الازل ·

وهذا كما ترى ليس من قول الحنابلة ، وعلى الفرض ان بعض الحنابلة قال به ، فليس خاصا بالحنابلة ولا بالقران ، على أنه غير معقول ولا مؤيد بالدليل ·

أما المسألة الثانية وهى : (وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا ـ الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف) ·

واشار رأحمد امين الى أنه نقلها من كتاب المواقف ج٣ ، ومن نهاية الاقدام للشهرستانى ·

افتراء بعض المتكلمين على الحنابلة

فالجواب :

ليست هذه اول فرية افتراها بعض المتكلمين الذين خالفوا مذهب السلف القويم ، وتاثروا بآراء الفلاسفة فزعم بعضهم أن الحنابلة يمثلون الرب بخلقه ، او يجسمونه ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ان يقولون الا كذبا) ٠ فقد افترى عليهم سالفا الراضى العباسي وبعض وزرائه والى القارىء البيان :

قال ابن الاثير فى حوادث سنة ٣٢٣هـ٠

---

(١) الكهف : ٦

ذكر فتنة الحنابلة ببغداد

وفيها عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون من دور القواد العامة ، وان وجدوا نبيذا أراقوه ، وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا فى البيع والشراء ومشى الرجال مع النساء والصبيان ، فاذا رأوا ذلك سألوه عن الذى معه من هو ؟ فان أخبرهم والا ضربوه وحملوه الى صاحب الشرطة ، الى أن قال فخرج توقيع الراضى بما يقرأ على الحنابلة ينكر عليهم فعلهم ويوبخهم باعتقاد التشبيه وغيره ــ ا٠هـ ــ وهنا نسب اليهم أنهم يشبهون الله بخلقه ، وأن هيئتهم على هيئة رب العالمين وأنهم يطعنون على خيار الأئمة ، وينسبون آل محمد الى الكفر ، وينكرون زيارة قبور الأئمة ويقولون بنزول الله فى كل ليلة الى السماء الدنيا (١) ٠

---

(١) ما نسبه الراضى اليهم وشدد فى الحكم عليهم يحتمل امرين :

(الاول) : اما أنه كان يعلم أنهم ابرياء من تلك الأمور التى نسبها اليهم ولكن لشدة تعصبه وعدم عدالته ، ولسايرته للجمهور الذى فشى فيهم اذ ذاك مذهب الجهمية والمعتزلة والأشعرية قال ما قال فى حق الحنابلة وبئس ما قال ٠

ويظهر أن صاحب الشرطة أو الوزير نقل الى الخليفة الراضى العباسى عن الحنابلة ما ليس صحيحا فى نفس الامر ، ومن أجل ذلك نسب الراضى اليهم ما نسب ، ومن جراء ما شحنوه بالأكاذيب والافتراءات عليهم قال فى توقيعه (يعنى منشوره) الذى نشره تحذيرا لهم : وأمير المؤمنين يقسم بالله قسما جهدا اليه يلزم الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقتكم ليوسعنكم ضربا وتشريداوقتلا وتبديدا

= ولم يصح ما نسبه اليهم الا القول بنزول الله فى كل ليلة الى السماء الدنيا فقط كما ورد فى الحديث الصحيح ·

(الثانى) : انه كان جاهلا بحقيقة أمرهم وان وزيره هو الذى حمله على ذلك كما يقال او صاحب الشرطة وتاثر من كلام اولئك ولم يحقق ، فاصدر ذلك الامر الشديد على الحنابلة وتوعدهم بأن يستعمل السيف فى رقابهم والنار فى منازلهم وليس لهم ذنب يستحقون التوبيخ بالكلام ، فضلا عن قتلهم وحرقهم ، وكل ذنبهم انهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويزيلونه بيدهم ان استطاعوا ، وطبعا ان النفوس مجبولة على الشهوات والملذات وارتكاب المحرمات ، وأى الامرين كان فان الراضى قد اخطأ فيما نسبه الى الحنابلة وكذب عليهم فلا عبرة بكلامه ولا وزن لنسبته تلك الافتراءات الى اولئك الحنابلة الأجلاء الذين امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأعلنوا توحيد الاسماء والصفات وتوحيد الألوهية منفردين فى ذلك اليوم عن بقية المذاهب التى تفشت فيها مذاهب الجهمية والمعتزلة والجبرية والاشعرية الذين خالفوا امامهم أبا الحسن الاشعرى ·

وليستعملن السيف فى رقابكم والنار فى منازلكم (من الكامل الجزء السادس) ·

وزعم بعضهم أن شيخ الاسلام ابن تيمية كان يعظ على منبر جامع دمشق ، وقرأ حديث النزول وقال « ينزل كنزولى هذا ـ يقصد أنه مشبه ـ وسيأتى رد هذا الزعم ·

ان خصوم السلف وهم المعطلة من الجهمية والمعتزلة ، يرمون السلف الذين يثبتون لله الصفات الواردة فى الكتاب وفى صحيح السنة بالتجسيم والتمثيل ، لان هذه الصفات ـ بزعمهم ـ من صفات المخلوقين حتى زعم الشهرستانى ، أن مثبتة الصفات من السلف ، قد آل ببعضهم الاثبات الى التشبيه ·

وخصصت ذكر الحنابلة ، لأنهم هم أكثر الذين يمثلون مذهب السلف ويناضلون عنه سائر الفرق الضالة · اذ الممثل يعبد صنما ، والمعطل يعبد عدما ، والموحد يعبد اله الارض والسماء · وبرأ الله أهل السنة والجماعة والسلف من أنهم يمثلون الله بخلقه أو يشبهونه ·

والشهرستانى على جلالة قدره فى علم الكلام لم يحقق مذهب السلف ، ولو حقق لعرف أنهم أبرياء مما نسب اليهم ، اذ المعطلة والمشبهة والمجسمة هم من أهل البدع والضلال ، بل قد تؤول عقيدة بعضهم الى الكفر ٠

وهذه النسب الكاذبة الى الحنابلة من دعوى التشبيه والتجسيم حصلت أيام الفتن والنزاع بين الحنابلة والشافعية وبين الحنابلة والحنفية واليك تأييدا لما قلت ما ذكره ابن الأثير فى حوادث ٤٧٥ ٠

ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة

ورد الى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكرى المغربى الواعظ وكان أشعرى المذهب ، وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال اليه وسيره الى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية ، وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ، ثم انه قصد يوما دار قاضى القضاة أبى عبد الله الدمغانى بنهر القلائين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بنى الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لأبى يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسى للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكرى من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر أبى الحسن الأشعرى (انتهى من الكامل لابن الاثير الجزء الثانى) ٠

أقول : لقد ابتلى المسلمون بمثل هؤلاء العلماء كأبى القاسم البكرى السالف الذكر الذين جمدوا على التقليد ونبذوا الأخذ بالدليل وفرقوا من جراء ذلك شمل المسلمين بتعصبهم الممقوت لمذهبهم وعقيدتهم ، وان كان فى نفس الامر فيها وفى المذهب مايخالف الكتاب والسنة الصحيحة ، كاعتقادهم تأويل آيات الصفات جريا وراء مذهب المعتزلة والجهمية ، والتقليد فى الفروع ولو خالف نص الكتاب والسنة فى بعض المسائل والا فلو لم يكن فيهم هذا الداء الوبيل ، داء التأويل والتعطيل والتقليد ماعاب أبو القاسم الحنابلة ولا ذمهم ، فأى عيب فيهم ومذهبهم فى الاصول والفروع معروف ، مذهبهم فى العقيدة هو المذهب الصحيح من الايمان بالله وبأسمائه وصفاته كما جاء فى الكتاب والسنة ايمانا لا يشوبه تعطيل ولا تمثيل وحاشاهم عن التشبيه والتمثيل وكذب أبو القاسم فيما عابه به عليهم وعفا الله عنه ·

وقال بعضهم ، ناسبا الى الحنابلة : ان القرآن قديم، وأصوات القراء قديمة، بل والمداد الذى يكتبون بهقديم ، بل زعم بعضهم بقدم الجلد والغلاف ، حتى تهكم بعضهم وقال : مابالهم لا يقولون بقدم الكاتب والمجلد ، الى غير ذلك من

الافتراءات الباطلة ، والاختلاقات الكاذبة التى ما أنزل الله بها من سلطان ·

وما أدرى كيف يوثق بعلم هؤلاء وبكتبهم وهم يفترون هذه الاكاذيب على جمهور من المسلمين ، وصفوة أمة محمد سيد المرسلين ·

وكيف ينقل زيد عن عمرو ، وعمرو عن خالد من غير أن يرجع الى كتب من نقل عنهم هذا القول ونسب اليهم ؟ ·· وكيف يكون المرء عالما محققا ، اذا لم يمحص البحث ويحققه من جميع نواحيه ، وينسب الاقوال الى مصادرها الموثوقة ؟ ·

أما مجرد أن يرى عبارة فى كتاب لعالم يقول فيها قال العالم الفلانى ، أو فى المذهب الفلانى كذا ، بدون ذكر المصدر فينقلها ناسبا اياها الى ذلك العالم أو المذهب ، جازما بصحتها ، فلا يكون محققا ، ولا ينبغى أن يوثق بكلامه أو نقله ، لأنه لم يبنه على دليل صحيح من نقل صحيح أو عقل رجيح ·

فهؤلاء الذين نسبوا الى الحنابلة هذه الاقوال السخيفة ، التى لا تصدر الا عن ملحد أو مبتدع ضال أرعن يعوزهم اثبات ذلك بنقل صحيح من

مصدر موثوق به وها أنا بعون الله وتوفيقه أبين بطلان هذه النسب الكاذبة التى لم يخش الله ناسبوها ولم يتصفوا بالحياء ولا بالعقل الرجيح ، فأقول وبالله التوفيق :

لا يخفى أن الحنابلة امامهم أحمد بن حنبل، والامام أحمد لم تخف مكانته العلمية ، واتباعه للسنة المطهرة فى عقائده وأقواله وأفعاله ومذهبه ، وله مؤلفات عديدة (١)،ولابنه عبد الله مؤلفات ٠ ، وقد بنى مذهبه فى الاصول أعنى العقائد ــ على الكتاب والسنة الصحيحة ٠

واليك الآن بيان مذهب أحمد وعقيدته وأتباعه فى الاصول والفروع وأن عقيدتهم تمثل مذهب السلف الصالح ، كما أن مذهبهم فى الفروع مؤيد بالكتاب والسنة وبالاجماع والقياس الصحيح ٠

(١) واعظمها كتابه المسند ، ومن مؤلفاته الرد على الجهمية وغير ذلك ٠

(مذهب الامام أحمد وأتباعه فى) الاصول والفروع

الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى هو الذى أظهر مذهب السلف وناضل عنه ، وان كانت الائمة كلهم رحمهم الله على ذلك ــ فالامام أحمد وأتباعه تابعون للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين ، لا يؤلون فى صفات الله ولا يشبهون الله بخلقه ، ولا يكيفون بل يقولون نؤمن بما ورد ، فالكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين ، فيقولون لله علم يليق به ، وللمخلوقين علم يليق بهم ، وليس علم الله كعلم المخلوق ، ولله سمع ، يليق به وللمخلوقين سمع يليق ، وليس سمع الله كسمع المخلوق وهكذا سائر الصفات ٠ (١)

(١) أعلم أن المعطلة من الجهمية والمعتزلة وأضرابهم ، اعتمدوا فى نفى مشابهة الله لخلقه على النفى المجرد ، زاعمين بهذا النفى تنزيه الله عن مماثلة المخلوق ، وبناء على ذلك نفوا عنه العلم والسمع والبصر والقدرة والكلام ، والاستواء والرؤية وما الى ذلك مما ورد =

ومن صفاته الكلام ، فيقولون : كلام الله لا يشبه كلام المخلوق وكلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ٠

ومن المستحسن أن أذكر مذهب الامام أحمد وأتباعه فى الاصول ، أعنى العقائد باختصار :

وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، فيشهدون أن

= فى الكتاب المجيد والسنةالصحيحة منصفاته قائلين أن هذهالصفات هى للمخلوق ، فاذا اثبتناها للخالق ـ جل وعلا ـ فقد شبهناه بالمخلوق وهذه طريقة باطلة ، مآلها نفى الخالق ـ جل جلاله ـ اذ لا يعقل ذات مجردة من الصفات الا فى أذهان أولئك الضالين المضلين ، وليس كل ما يفرضه الذهن يكون له وجود فى الخارج ، وانما الطريقة الصحيحة اثبات حقائق أسماء الله وصفاته ونفى مماثلته لشيء من مخلوقاته ، وكونه يتفق مع المخلوق فى الاسم وفى المعنى الكلى المشترك لا يلزم منه مماثلته لخلقه، فانه مامن موجودين الا وبينهما تشابه منوجه واختلاف من وجه آخر ، ألا ترى اذا قيل بين الانسان والفرس تشابه من جهة أن هذا حيوان وهذا حيوان ، واختلاف من جهة أن هذا ناطق وهذا صاهل ، وغير ذلك من الامور كان ذلك صحيحا ، فاذا قيل عن الله أنه موجود حى عليم قدير سميع بصير ، والمخلوق يوصف بهذه الصفات فقد اتفقا فى المعنى العام وهو القدر المشترك ، توضيحه مدلول الوجود ضد العدم ، والموجود ضد المعدوم ، ومعنى الحى ضد الميت ، والحياة ضد الموت ، ومدلول العليم ضد الجاهل ، والعلم ضد الجهل ، فقد اتفقا فى مدلول الاسم ومدلول الصفة ، وذلك هو القدر المشترك وهو معنى عام كلى يوجد فى الأذهان لا فى الأعيان ، والموجود فى الاعيان مختص ولذلك لم يوجب أن يشترك المحدث الممكن وهو المخلوق مع الواجب الازلى وهو سبحانه فيما هو من خصائص أحدهما ، بل ما أضيف الى واحد منهما فهو مختص به وهو على ما يليق له ٠

الله هو الرب الاله المعبود ، المنفرد بكل كمال فيعبدونه وحده مخلصين له الدين ٠

فيقولون أن الله هو الخالق البارىء المصور الرزاق المعطى المانع المدبر لجميع الامور ٠

وانه المألوه المعبود الموحد المقصود ، وأنه الاول الذى ليس قبله شيء والآخر الذى ليس بعده شيء الظاهر الذى ليس فوقه شيء الباطن الذى ليس دونه شيء ٠

وأنه العلى الأعلى بكل معنى واعتبار ، علو الذات وعلو القدر ، وعلو القهر ٠

وأنه على العرش استوى استواء يليق بعظمته وجلاله ، ومع علوه المطلق وفوقيته ، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن والعالم العلوى والسفلى ، وهو مع العباد بعلمه ، يعلم جميع أحوالهم ، وهو القريب المجيب ٠

وأنه الغنى بذاته عن جميع مخلوقاته ، والكل اليه مفتقرون فى ايجادهم وايجاد مايحتاجون اليه فى جميع الأوقات ، ولا غنى لاحد عنه طرفة عين وهو الرؤوف الرحيم ، الذى مابالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة الامن الله ، فهو الجالب للنعم الدافع للنقم ٠

ويصفونه بمـا وصف به نفسه ووصـفه به ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من الصفات الذاتية ، كالحياة الكاملـة والسمع والبصـر ، وكمال القدرة والعظمة والكبرياء والمجد والجلال والجمال ، والحمد المطلق ، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشـيئته وقدرته كالرحمة والرضـا ، والسخط ، وأنه يتكلم بما يشاء وكيف يشـاء ، وكلماته لا تنفد ولا تبيد ·

وأن القرآن كـلام الله غير مخلـوق ، منه بدأ واليه يعود ·

وأنه لم يزل ولا يزال موصوفا بأنه يفعل مـا يريد ، ويتكلم بمـا شـاء ، ويحكم على عبـاده بأحكامه القدرية ، وأحكامه الشرعيـة وأحكامه الجزائية ، فهو الحاكم المالك ، ومن سواه مملوك محكوم عليه ، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمـه ·

ويؤمنون بما جـاء به الـكتاب وتواترت بـه السنة ، ان المـؤمنين يرون ربهم تعـالى عيـانا جهرة ، وأن نعيم رؤيته والفوز برضـوانه أكبر النعيم واللذة ·

وأن من مات على غير الايمان والتوحيد فهو مخلد فى نار جهنم أبدا ، وأن أرباب الكبائر اذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مكفر لذنوبهم ولا شفاعة ، فانهم وان دخلوا النـار لا يخلدون فيها ، ولا يبقى فى النار ، أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان الاخرج منها ·

وأن الايمان يشمل عقائد القلوب وأعمالها ، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان ، فمن قام بها على الوجه الأكمـل ، فهو المـؤمن حقـا ، الذى استحق الثواب وسلم من العقاب ، ومن انتقص منها شيئا نقص من ايمانه بقدر ذلك ، ولذلك كان الايمان يزيد بالطاعة وفعـل الخيـر ، وينقص بالمعصية والشر ·

ويشهدون أن محمدا عبده ورسـوله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وانه أولى بالمـؤمنين من انفسـهم ، وهو خـاتم النبيين ، أرسل الى الانس والجن بشيرا ونذيرا وداعيـا الى الله باذنه وسراجـا منيرا ، أرسله بصلاح الدين وصـلاح الدنيا ، وليقـوم الخلق بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك ·

ويعلمون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم وأعظمهم بيـانا ، فيعظمونه ، ويقدمون محبتـه

أكابر علماء نجد رحمه الله تعالى ـ بحذف فى بعض المواضيع وزيادة فى بعضها) .

الاصول التى بنيت عليها فتاوى الامام أحمد

واذ بينت عقيدة الامام أحمد وأتباعه ، فمن المستحسن جدا أن أذكر أصول مذهبه فى الفروع وفتاويه وهاك أيها القارىء تلك الأصول نقلا عن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

بنيت على خمس أصول وهى كما يلى :

الأصل الاول : ـ (النصوص)

النصوص ، فاذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت الى ما خالفه ولا من خالفه كائنا من كان ، كما لم يلتفت الى قول على وعثمان وطلحة وأبى بن كعب من ترك الغسل من الاكسال (١) لصحة حديث عائشة أنها فعلته هى ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاغتسلا ، ولم يلتفت الى قول ابن عباس واحدى الروايتين عن على أن عدة المتوفى عنها الحامل أقصى الأجلين ، لصحة حديث سبيعة الأسلمية .

وهذا كثير جدا ، ولم يكن يقدم على الحديث عملا ولا رأيا ولا قياسا ولا قول صاحب ولا عدم

(١) اكسل الرجل : اذا جامع ولم ينزل .

علمه بالمخالف ، الذى يسميه كثير من الناس اجماعا ويقدمونه على الحديث الصحيح ، وقد كذب أحمد من ادعى هذا الاجماع .

ونصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل عند الامام أحمد وسائر أئمة الحديث من أن يقدموا عليها توهم اجماع مضمونه عدم العلم بالمخالف ، ولو ساغ لتعطلت النصوص ، وساغ لكل من لم يعلم مخالفا فى حكم مسألة أن يقدم جهله بالمخالف على النصوص ، فهذا هو الذى أنكره الامام أحمد والشافعى من دعوى الاجماع لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده .

الاصل الثانى : ـ (فتاوى الصحابة)

الاصل الثانى من أصول فتاوى الامام أحمد ما أفتى به الصحابة ، فانه اذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدها الى غيرها ، ولم يقل أن ذلك اجماع بل من ورعه فى العبارة ، يقول « لا أعلم شيئا يدفعه أو نحو هذا ، كما قال فى رواية أبى طالب لا أعلم شيئا يدفع قول ابن عباس وابن عمر وأحد عشر من التابعين منهم عطاء ومجاهد وأهل المدينة على تسرى العبد ، وهكذا قال أنس بن مالك « لا أعلم أحدا رد شهادة العبد ، حكاه عن

الامام أحمد ، واذا وجد الامام أحمد هذا النوع عن الصحابة ، لم يقدم عليه عملا ، ولا رأيا ولا قياسا ٠

الاصل الثالث : ـ (الاختيار من أقوال الصحابة اذا اختلفوا)

الأصل الثالث من أصوله : اذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان اقربها الى الكتاب والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم ، فان لم يتبين له موافقة أحد الاقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول ٠

قال اسحق بن ابراهيم بن هانىء فى مسائله قيل لأبى عبد الله : يكون الرجل فى قومه فيسأل عن الشىء فيه اختلاف ، قال « يفتى بما وافق الكتاب والسنة ، وما لم يوافق الكتاب والسنة أمسك عنه ، قيل له : أفيجيب عليه ؟ قال : لا ٠

الاصل الرابع : ـ (الحديث المرسل)

الأصل الرابع : الاخذ بالمرسل والحديث الضعيف ، اذا لم يكن فى الباب شىء يدفعه ، وهو الذى رجحه على القياس ، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا ما فى روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه،فالعمل به ، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح

وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث الى صحيح وحسن وضعيف ، بل الى صحيح وضعيف ، وللضعيف عنده مراتب ، فاذا لم يجد فى الباب أثرا يدفعه ولا قول صاحب ، ولا اجماعا على خلافه ، كان العمل به عنده أولى من القياس ٠

الاصل الخامس : ـ (القياس للضرورة)

فاذا لم يكن عند الامام أحمد فى المسألة نص ولا قول للصحابة أو واحد منهم ولا أثر مرسل أو ضعيف عدل الى الأصل الخامس ـ وهو القياس ـ فاستعمله للضرورة ، وقد قال فى كتاب الخلال : سألت الشافعى عن القياس ، فقال انما يصار اليه عند الضرورة ، أو ما هذا معناه ٠

فهذه الأصول الخمسة من أصول فتاويه ، وعليه مدارها ، وقد يتوقف فى الفتوى لتعارض الادلة عنده أو لاختلاف الصحابة فيها ، أو لعدم اطلاعه فيها على اثر أو قول أحد من الصحابة والتابعين ٠

وكان شديد الكراهية والمنع للافتاء بمسألة ليس فيها عن السلف ، كما قال لبعض أصحابه : اياك أن تتكلم فى مسألة ليس لك فيها امام ٠١٠هـ

(من اعلام الموقعين ـ الجزء الاول باختصار من الأصل الاول) ٠

فهل فى هذه الأصول الخمسة لمن تحلى بالانصاف قول لقائل أو نقد لناقد ، ولا شك أن الحنابلة هم أتباع هذا الامام الجليل الذى قال فيه بعض أهل العلم : تأيد الدين برجلين بأبى بكر يوم الردة وأحمد بن حنبل (١) يوم المحنة ، يقصد

---

(١) ولد الامام احمد بن حنبل ببغداد سنة ١٦٤هـ ـ وتوفى سنة ٢٤١هـ ـ مدة عمره سبع وسبعون سنة وفى سنة ٢١٢هـ أعلن المأمون بن هارون الرشيد القول بخلق القرآن ، ولكن عندما شعر بأن الناس غاضبون وساخطون عليه ، سكت مدة ست سنوات ، وفى سنة ٢١٨هـ عاد الى القول بخلق القرآن ، وكتب الى نائبه على الشرطة ببغداد اسحاق بن ابراهيم فى امر الامتحان ، وسيق الامام أحمد ومحمد بن نوح والحسين بن حماد المعروف بسجاده ، وحسين القواريرى من بغداد الى طرسوس مقيدين ، وفى اثناء الطريق مات المأمون ، فردوا الى بغداد وأوصى بالخلافة للمعتصم ، وكان دور المعتصم فى القول بخلق القرآن اشد واخبث ، ولما صمد الامام احمد ولم يجب على ما أراده المأمون أولا والمعتصم ثانيا ، أمر المعتصم بأن يضرب أحمد بالسياط ، فضرب ثمان وثلاثين سوطا ، وظنوا أنه قد مات من شدة الضرب ، ثم أفرج عنه ٠

لقد مكث احمد فى السجن منذ أخذ وحمل الى ان ضرب وخلى عنه ثمانية وعشرين شهرا ، ثم ان المعتصم مات وأوصى لابنه الواثق ، فجاء الواثق أشد وطأة على الأمة وبلاء على الائمة ، وأخيرا رجع الواثق عن المحنة وتاب عن تلك البدعة الضالة ، ولكن الامام لم يزل متواريا الى ان مات الواثق بعد ان دامت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر وثلاثة عشر يوما ، فتولى بعد الواثق المتوكل فرفع المحنة من جميع البلدان ، وكان ذلك فى سنة ٢٣٤هـ ـ وأمر المتوكل =

بذلك يوم أن امتحنه بذلك المأمون والمعتصم والواثق بالسجن والضرب حتى يقول أن القرآن مخلوق فامتنع وصبر على الآذى واحتسب الأجر عند الله ٠

فهل وقف القارىء على عقيدة الامام أو أحد من أتباعه وخصوصا فيما يوهم التشبيه والتجسيم كما يقول المفترون ، وفى كلام الله ما زعمه الزاعمون من أن الجلد والمداد قديمان ، كل ما قالوا أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، وسيأتى فيما بعد رد هذه الفرية من كلام شيخ الاسلام والحافظ ابن القيم رحمهما الله وغيرهما ٠

وها أنا أتحدى هؤلاء الزاعمين المفترين ـ أن الحنابلة يمثلون الله بخلقه أو يجسمونه أو

= أهل السنة ان يردوا على المعتزلة فى قولهم وأن يسدوا عليهم كل باب فتحوه للفتنة ، فعاد الفقهاء والمحدثون ، الى نشاطهم واكرم الامام احمد ، وخذل الله المعتزلة وأصبحوا محل السخط والغضب للخليفة المتوكل ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك ، ورفع الله مقام اهل السنة ولاسيما الامام احمد بن حنبل ٠

ورحم الله من قال :

اضحى ابن حنبل حجة مبرورة
ويحب احمد يعرف المتنسك
فاذا رايت لاحمد متنقصا
فاعلم بان ستوره ستهتك

يشبهونه أو يقولون فى القرآن ما زعموا ـ أن يأتوا بكلمة واحدة من كتب الامام أحمد أو كتب أصحابه المحققين يثبت ذلك ، والا فليناد وا على أنفسهم بالجهل والافتراء ٠

ويعلم الواقفون على كلامهم أن لا نصيب لكلامهم من الصحة وأن علومهم هباء فى هباء ، وقولهم كذب وافتراء ، اذ لم يسندوها الى المصادر المعتبرة من كتب أولئك العلماء ٠ فوالله لو استعانوا بالجن والانس ، وصعدوا الى المريخ ونزلوا الى أعماق الارضين ، لما أتوا بحرف واحد يدل على زعمهم وافترائهم ٠

وها أنذا أوضح هذا المرام فيما يلى :

(تقسيم المتكلمين الى ثلاثة أقسام بالنسبة) للصفات ونفيها

(أولا) المتكلمون فى العقائد ، وسموا بالمتكلمين ، لكثرة كلامهم حول كلام الله ، وحول صفات الله ، قد انقسموا الى فرق ٠

(١) منهم من لم يثبت لله صفة ولا اسما كالجهمية ٠

(٢) ومنهم من أثبت له الاسماء دون الصفات وهم المعتزلة ، وقالوا عليم بلا علم ، سميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ونفوا الكلام لله ، وقالوا بل يخلق الله الكلام منفصلا عنه ، كما سيأتى بيانه ٠

(٣) ومنهم من أثبت لله الاسماء وصفات المعانى فقط ، وهى سبعة : الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والارادة والكلام ، ومشتقاتها وهى الاسماء ـ أعنى ـ كونه حيا عليما سميعا بصيرا متكلما ٠٠٠٠ الخ ٠

ونفوا بعد ذلك الصفات الخبرية الواردة فى الكتاب والسنة كالاستواء واليد ونحو ذلك ، وهؤلاء هم أكثر الأشاعرة والماتريدية ٠

والسلف الصالح والذى أظهر مذهبهم وناضل عنه الامام أحمد ، يثبتون لله ما جاء فى القرآن وصح فى الحديث ، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تشبيه ، فيقولون :

الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقين ، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين • فقالوا لله علم يليق به ، وللمخلوق علم يليق به ، وليس علم الله كعلم المخلوق ، واشتراك شيئين فى لفظ لا يوجب اتحادهما فى الحقيقة •

فالعرش موجود ، والبعوض موجود ، فهل وجود العرش كوجود البعوض ؟ • واذا كان الجواب بالسلب ، فالله موجود ، والمخلوق موجود فهل وجود الله كوجود المخلوق ؟ لا يقول هذا من يفهم ما يقول ، لأنه يقال لهم ان كان وجود الله كوجود المخلوق ، فهذا هو التشبيه بعينه • وان كان له وجود خاص أبدى يليق به لم يزل ولا يزال• وللمخلوق وجود يليق به ، فكذلك يقال : لله صفات تليق به ، وللمخلوق صفات تليق به•

فاذا أثبتنا لله صفة تليق به ، كصفة العلم والارادة أو الاستواء مثلا ، وقلنا للمخلوق علم وارادة واستواء فليس معنى هذا أن ارادة الله

كارادة المخلوق ، أو أن علمه تعالى كعلم المخلوق أو أن استواءه ـ سبحانه ـ كاستواء المخلوق ، وذلك أن علم الله شامل للجزئيات وللكليات ، ولما كان ولما يكون ، لا يخفى عليه شىء فى الارض ، ولا فى السماء ، فهل للمخلوقين مثل هذا العلم ؟!!

وارادة الله تخصص ما يريد ، من الممكنات ، من العدم الى الوجود ، ومن الوجود الى العدم ، وما يريده بارادته الكونية لاراد لها ، وقدرته شاملة لكل ما يريد ، ليست محدودة وكذلك ارادته ، فهل للمخلوق مثل تلك الارادة أو القدرة ؟(١) ••وهكذا القول فى سائر الصفات•

لكن تنسب مقالة تشبيه الله بخلقه الى هشام ابن الحكم ، وداود الجواربى ، وهما من غلاة الروافض ، والى محمد بن كرام كما حكاه

---

(١) القدرة والارادة تتعلقان بالممكن لا بالمستحيل ، كالشريك والولد كما قال بعضهم :

وقدرة ارادة تعلقا بكل ممكن بدا لا مطلقا

لما احتدم الجدال بين الحنابلة وبين المتكلمين فى العصور الماضية ، واصر الحنابلة على عقائدهم واصر المتكلمون على خرافاتهم وأهوائهم ، أخذ بعض المتكلمين يهاجم الحنابلة ويلزمهم الزامات ، وينسب اليهم أقاويل وعقائد لا يقولون بها •

مثلا ـ قالوا : اذا قلتم بأن الله على عرشه علا ، فيلزم أن يكون جسما له حيز ومكان ، تعالى الله عن ذلك •

الشهرستانى وغيره بأنهم شبهوا الله بخلقه ، حتى قال شيخنا الشيخ أحمد نور فى منظومته ·

فأثبتوا لذاته الجوارحا
مما عدا الفروج والقبائحا

لكن فى نفس الوقت قال بعضهم : جسم لا كالأجسام ، ولم نقف على كتبهم ، ونقل أهل الكلام يحتمل الصدق وضده ، ولا أظن للمجسمة أو للمشبهة وجودا فى هذا العصر ، ولعلهم قد انقرضوا من قرون ·

وقال بعض الكلاميين : ان أولئك الذين عبروا بقولهم (جسما لا كالأجسام) ·

معنى قولهم جسما ، أى قائم بنفسه لا بغيره ، لأن الموجودات اما جسم ، وهو الجوهر عند المناطقة وهو القائم بنفسه ـ أو عرض قائم بغيره ، والله ليس بعرض ، فزعموا أنه جسم قائم بنفسه ، وأخطأوا وضلوا حيث أطلقوا على الله الجسمية ، وتعالى الله عن ذلك لانه لم يرد فى القرآن ولا فى السنة اطلاق الجسم على الله ·

ومن المسلم به والمعروف بالبداهة والعقل السليم ، أن الخالق لا يكون مماثلا للمخلوق ، فالمشبه يعبد صنما والمعطل يعبد عدما ، والموحد يعبد اله الأرض والسماء ·

ويرحم الله ابن القيم حيث قال :

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا
ان المشبه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه عن أوصافه
ان المعطل عابد البهتان
من شبه الله العظيم بخلقه
فهو النسيب لمشرك نصرانى
أو عطل الرحمن عن أوصافة
فهو الكفور وليس ذا ايمان

(الزام المتكلمين لأهل السنة فى قولهم بأن الله على عرشه استوى يلزم منه التجسيم والتشبيه ورد الحنابلة عليهم والزامهم بمالا مفر منه)

فقالت الحنابلة ، (أولا) معاذ الله أن نقول بالجسمية ، أو أن نشبهه بخلقه ، أو أن نقول يحويه عرش أو مكان ٠

ولكن نقول : استوى على عرشه كما يليق بجلاله ، وأنتم اذا نفيتم أن يكون الله عاليا على خلقه ، بل انكم صرحتم بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوق ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال يلزمكم أن يكون معدوما لأن هذه صفات المعدوم وبهذا خالفتم صريح الكتاب والسنة ، وعقائد الصحابة والتابعين وجميع المسلمين بل والكتابيين ٠

(ثانيا) : هذا الالزام ليس بلازم لنا ، لأن لازم المذهب ليس بلازم ، فان كان الزامكم لازما لنا ، فكذلك الزامنا لكم ولا محيص لكم ٠

(ثالثا) : هذا الالزام ، أو نقول هذه الشبهة لاترد على الله من حيث هو مستو على العرش ، ومن حيث هو فى السماء ، بل هى واردة عليه ،

من حيث هو موجود ولا شك ٠ كأن يقال : الله موجود ، والموجود اما أن يكون جسما قائما بنفسه ، أو عرضا قائما بغيره ، ولا ثالث لهذين الأمرين ، اذ الموجودات كلها كذلك ٠

والله موجود ، فاما أن يكون جسما ، واما أن يكون عرضا ، وباطل أن يكون عرضا ، فلم يبق الا أن يكون جسما فهو جسم اذن ، سواء أقيل أنه فى السماء أم لا فى السماء ولا فى غيرها ٠

فلا ضرر اذا من القول بأنه فى السماء ، أو بأنه مستو على العرش ، لأنه لا يلزم هذا معنى فاسد من حيث الصفة ٠

وحينئذ يقال : ان أمكن أن يكون ثم موجود ليس جسما ، أمكن أن يكون ثم موجود فى السماء ٠

أو نقول فوق العرش وليس جسما بالضرورة وتعالى الله عن الجسمية والتشبيه (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) ٠

(تفرق المسلمين ورمى بعضهم بعضا بالتفسق أو التكفير لتركهم الاستدلال بالكتاب والسنة ورجوعهم الى القواعد الفلسفية والمنطقية)

من المحن التى ابتلى بها المسلمون ، النزاع والجدل ، التفرق والاختلاف ، ورمى بعضهم بعضا بالتفسيق تارة ، وبالتكفير أخرى ، وذلك لأن أكثرهم ترك الاستدلال بالكتاب والسنة ، ورجعوا الى القواعد المنطقية والفلسفية ، فآل بهم الأمر الى ماآل ٠

والا لورجعوا الى كتاب الله وسنة نبيه وقالوا كلنا متفقون على أن الله ربنا وخالقنا ومعبودنا ، لا شبيه له ، ولا نظير له ولا مثيل له (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ٠

وعلينا أن نتبغ القرآن والسنة الصحيحة ، فما ورد فى القرآن وفى السنة الصحيحة من صفات الله نؤمن به ٠ ولا نكيف ولا نشبه ولا نمثل ، ومالم يرد لا نخوض فيه ٠

مثلا : ورد أن الله له علم وسمع وبصر وقدرة وارادة ، فنقول : هذه صفات نؤمن بها ، أما كونها هى عين الذات ، أو غير عين الذات ـ كما يقول المتكلمون ـ ويطيلون الأبحاث والنقاش والجدل حولها ، فهذا من فضول الكلام ، ولسنا بمكلفين عن ذلك ٠

لو مشوا على هذا الصراط المستقيم ، لما حصل ما حصل من التفرق والانقسام ، وما نتج عنهما من هذه النسب الكاذبة ، والالزامات الباطلة ٠

(رابعا) : هذه كتب الحنابلة طبعت فى هذا العصر أكثر من قبل ، وسارت بها الركبان شرقا وغربا فهل فى امكان أحد أن يأتى بحرف مما يؤيد تلك المزاعم الضالة ؟

وعلى سبيل المثال والتوضيح والبيان أورد للقارىء ما يلى :

(افتراء الكثيرين على شيخ الاسلام ابن تيميه اعتمادا على رحلة ابن بطوطة فى تشبيه نزول الله بنزول خلقه ، ودحض ذلك الافتراء من كتاب شرح النزول ومن الوجهة التاريخية ومن المعقــول)

هذا شيخ الاسلام أحمد بن تميمة الحرانى ، قد نسب اليه كثيـر من أتبــاع المذاهــب غيــر الحنابلة ، فضلا عن أهل الأهواء والضــلال ، أنه يقول بالتجسيم والتشبيه ، ويؤيدون زعمهم بما وجدوه فى رحــلة ابن بطوطــة من أنــه قرأ حديث النزول ونزل من على المنبر وقال : ينزل كنزولى هــذا ٠

فاسمع الجواب مما كتبته فى كتابى (العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية) ص : (٧٤) ٠

من الجهل الفاضح أو التجاهل والعصـــبية العميــاء ، ما نســبه كثيــر ممن أدعى العلم أن شــيخ الاســــلام ابن تيمية كان يقــرر حديث النزول فى المسجد الأموى ، وأنه قال (ينــزل ربنا كنزولى هذا) ونزل من على منبر الجامــع درجة ، يريدون بذلك أنه مشبه مجسم ، وأخــذ يروى المتأخر عن الســلف هذه الاكذوبــة التى منشؤها ابن بطوطة فى رحلته ٠

فيا سبحان الله ، ما أعظم جهل هؤلاء ٠٠ ؟ هلا قرأوا مؤلفات شيخ الاسلام ليروا كيف يرد على هؤلاء المشبهة والمجسمة ، كما يرد على الجهمية والمعتزلة وغيرهم ٠

بل ألف شيخ الاسلام شرحا لحديث النزول ليس فيه أدنى رائحة من التشبيه والتجسيم ، بل يقرر فى شرحه فى عدة مواضــع تنزيه الله (١) عن التمثيل ، والشرح مطبوع عدة مرات متداول

---

(١) بعد أن ذكر شيخ الاسلام حديث النزول وانه اشتملت عليه كتب الاســلام كصحيحى البخارى ومســلم ، وموطأ مالك ومســند الامام احمد ، وسنن أبى داود والترمذى والنسائى ، وامثال ذلك من كتب العلماء المسلمون أهل الحديث ٠

قال : واتفق سـلف الامة وائمتها واهـل العلم بالسـنة والحديث ، على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول ، ولكن من فهم من هذا الحديث وامثاله ما يجب تنزيه الله عنه ، كتمثيله بصفات المخلوقين ، ووصفه بالنقص المنافى لكماله الذى يستحقه ، فقد اخطأ فى ذلك ، وان اظهر ذلك منع منه ، وان زعم أن الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد اخطأ ايضا فى ذلك ٠ ا ــ هـ ٠

فان وصـفه ــ سـبحانه ــ فى هذا الحديث بالنـزول ، هو كوصـفه بســائر الصفات مما يزهق باطـل هؤلاء المفترين ويصـفع وجوههم ويجعلهم أضحوكـة بين العالميـن ، حيث يحسـبون أنفسـهم علماء ويؤلفون وينشرون بين الناس هذه الأكاذيب والترهات المفسدة ، مما فيه افســاد لعقائــد المســلمين وســؤ ظن بالعلماء المجاهدين الذين جاهدوا لله وفى الله ، باللسان والسنان ، وافنوا حياتهم فى خدمة الشرع الشريف كشيخ الاسلام احمد بن تيمية واضرابه رحمهم الله٠

ثم ذكر الشيخ جملة من الصفات ٠٠ الى أن قال : وكذلك وصف نفسه بالعلم والقوة والرحمة ونحو ذلك ، كما فى قوله تعالى (ولا =

بين الناس ، فمن يشك فيما أقول فليقرأه ولو مرة واحدة ، بل ليقرأ صفحات منه ليعلم كذب أولئك القوم ومبلغ تعصبهم ٠

فما أدرى ما قيمة العالم اذا كان كذابا مفتريا قال تعالى : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون(١)) ٠

= يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء (٢)وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (٣) وقوله (ورحمتى وسعت كل شىء) (٤) ونحو ذلك مما وصف به نفسه فى كتابه ، وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم ـ فان القول فى جميع ذلك من جنس واحد ٠

ومذهب سلف الأمة وائمتها ، أنهم يصفونه بما وصف نفسه ووصفه به رسوله فى النفى والاثبات ، والله قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين ، فقال (قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد) (٥) وقال (هل تعلم له سميا) (٦) وقال (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٧) ٠

ثم اطنب الشيخ ـ كعادته ـ الى أن قال : ـ فاذا قيل علم الله ، وكلام الله ، ونزوله ، واستواؤه ، ووجوده ، وحياته ونحو ذلك ٠ لم يدل ذلك على ما يشركه فيه أحد من المخلوقين ، ولم يدل ذلك على مماثلة الغير له فى ذلك ، كما دل فى زيد وعمرو ، لأن هناك علمنا التماثل من جهة الاعتبار والقياس ، لكون زيد مثل عمرو ٠

وهنا نعلم أن الله لا مثل له ولا كفء ولا ندا ، فلا يجوز أن نفهم من ذلك أن علمه مثل علم غيره ، ولا كلامه مثل كلام غيره ، ولا استواؤه مثل استواء غيره ، ولا نزوله مثل نزول غيره ، ولا حياته مثل حياة غيره ٠ (١ ٠ هـ ملخصا من ص ٥ ـ ١٠ ـ شرح حديث النزول ٠ منشورات المكتب الاسلامى) ٠

(١) النحل ـ ١٠٥) ٠
(٢) البقرة ـ ٢٥٥) ٠
(٣) الذاريات ـ ٥٨) ٠
(٤) الاعراف ـ ١٥٦) ٠
(٥) الاخلاص) ٠
(٦) مريم ـ ٦٥) ٠
(٧) الشورى ـ ١١) ٠

وأما تمسكهم بما قاله ابن بطوطة ، فالجواب : يحتمل أن الشيخ ابن تيمية قال : (ينزل ربنا لا كنزولى هذا) فلم يسمع ابن بطوطة كلمة (لا) أو سمعها وكتبها ، ولكن حرفها النساخ ٠

هذا اذا اسلمنا أن ابن بطوطة رأى شيخ الاسلام ، ولكن قال المحقق بهجت البيطار فى كتابه (حياة شيخ الاسلام : ٠٠٠ ان ابن بطوطة لم يسمع من ابن تيمية ، ولم يجتمع به ، اذ كان وصوله الى دمشق يوم الخميس التاسع من رمضان عام ست وعشرين وسبعمائة هجرية ٠

وكان سجن شيخ الاسلام فى قلعة دمشق أوائل شهر شعبان من ذلك العام ، الى أن توفاه الله ليلة الاثنين لعشرين خلون من ذى القعدة عام ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية ، فكيف رآه ابن بطوطة يعظ على منبر الجامع ، وسمعه ؟؟٠٠ ولم يكن يعظ الناس على منبر الجامع ـ كما زعم ابن بطوطة ـ وانما كان يجلس على كرسى يعظ الناس ٠

على أن ابن بطوطة لم يكتب رحلته بقلمه ، وانما أملاه على ابن جزى الكلبى ، فيجوز أن يكون ذلك من تحريف النساخ ، أو وسوسة بعض الخصوم ١٠هـ٠

وزيادة على ما أسلفناه نتحف القارىء بعقيدة موجزة لشيخ الاسلام(١) فى لاميته الشهيرة(٢) :

حب الصحابة كلهم لى مذهب
ومودة القربى (٣) بها أتوسل

ولكلهم قدر علا وفضائل
لكنما الصديق منهم أفضل

واقول فى القرآن ما جاءت به
آياته فهو الكريم المنزل

واقول قال الله جل جلاله
المصطفى الهادى ولا اتأول

---

(١) ولد شيخ الاسلام أحمد بن تيمية سنة ٦٦١هـ - وتوفى سنة ٧٢٨هـ ٠

(٢) شرح هذه اللامية الشيخ أحمد بن عبد الله المرداوى الحنبلى وسماه اللآلىء البهية فى شرح لامية شيخ الاسلام ابن تيمية ، طبع فى الرياض - مؤسسة النور للطباعة والتجليد ٠

(٣) المودة من المعانى والصفات القائمة بالمرء ، فالتوسل هنا توسل بالصفات والمعانى ، كان يقول اللهم اسألك بحبى للنبى أو لأهل بيته وذوى قرباه ٠ فهذا جائز ، اما التوسل بالذوات كالتوسل بالنبى أو بأحد الصحابة او بأحد أهل البيت ، فلا يجوز كما سيأتى بيانه ٠

وتأمل قوله : والى السماء بغير كيف ينزل ، كيف ينفى الشيخ تمثيل الله وتشبيهه بخلقه جل جلاله ، ولكن من طمس الله بصيرته واعماه عن طريق الهدى يقول ما يريده ، ويتقول على أهل العلم وعلى وعلى غيرهم ما يمليه عليه الشيطان ٠

وجميع آيات الصفات أمرها
حقا كما نقل الطراز الأول

وارد عهدتها الى نقالها
وأصونها عن كل ما يتخيل

قبحا لمن نبذ القرآن وراءه
واذا استدل يقول قال الا خطل

والمؤمنون يرون حقا ربهم
والى السماء بغير كيف ينزل

واقر بالميزان والحوض الذى
أرجو بأنى منه ريا انهل

وكذا الصراط يمد فوق جهنم
فمسلم نناج) وآخر مهمل

والنار يصلاها الشقى بحكمة
وكذا التقى الى الجنان سيدخل

ولكل حى عاقل فى قبره
عمل يقارنه هناك ويسأل

هذا اعتقاد الشافعى ومالك
وأبى حنيفة ثم أحمد ينقل

فان اتبعت سبيلهم فموفق
وأن ابتدعت فما عليك معول

وقال الشيخ فى خصوص كلام الله فى رسالته الواسطية :

فصــــل

ومن الايمان بالله وكتبه : الايمان بأن القران كلام الله منــزل غير مخلــوق ، منه بدأ ، واليــه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة ، وأن هذا القــران الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ـ هو كلام الله حقيقــة لا كلام غيره ولا يجوز اطــلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة ، بل اذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك فى المصاحف لم يخرج عن أن يكون كلام الله تعــالى حقيقة ، فان الكلام انما يضاف حقيقة ، الى من قاله مبتدئا ، لا الى من قاله مبــلغا مؤديا ، وهــو كلام الله ، حروفه ومعانيه ، ليس كلام الله الحروف دون المعانى ، ولا المعانى دون الحروف ٠

وها انا أذكر زيادة على كلام شيخ الاســلام عقيدة شيخين جليلين من قدماء الحنابلة وأكابر علماءهم ٠

(الاول) ـ الشيخ الحافظ العلامة عبد الغنى المقدسى ٠

(الثانى) ـ الشــيخ العــلامة موفق الديــن

عبد الله بن أحمد بن محمد بــن قدامه المقدسى مؤلف كتاب المغنى(١) ٠

والى القــارىء ما قالــه الشــيخ عبد الغنى المقدسى الحنبلى فى عقيدته :

اعلم وفقنا الله واياك لما يرضــيه من القــول والعمل والنية وأعاذنا واياك من الزيــغ والزلل أن صالح السلف وخيار الخلف وسادات الأئمة وعلماء الامــة اتفقت أقوالهم وتطابقت اراؤهم على الايمان بالله عز وجل وانه واحد أحد فــرد صمدحى قيوم سميع بصير لا شريك له ولا وزير ولا شبيه ولا نظير ولا عدل ولا مثيل وأنه عز وجل موصوف بصفاته القديمة التى نطق بها كتــابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وصــح به النقل عن نبيه وخيرته من خلقه محمد سيد البشر الذى بلغ رسالة ربه لأمته وجاهد فى الله حق جهاده وأقام الملة وأوضح الحجة وأكمل الدين وقمع الكافرين ولم يدع للحد مجالا ولا لمجادل مقالا ٠

وروى طارق بن شــهاب رضى الله عنه قال جاء يهودى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال أمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرؤنهــا لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك عيدا قال

---

(١) المتوفى سنة ٦٠٠ هجرية ٠

أى آيــة قال (اليــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)(١) ، فقال عمر انى لأعلم ذلك اليوم الذى نزلت فيــه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بعرفة عشية جمعة ٠

فأمنوا بما قــــال الله ســـبحانه فى كتــــابه وصح عن نبيه وامروه كما ورد من غير تعرض لكيفيته واعتقاد شبيه او مثيل او تاويل يؤدى الى التعطيل ووسعتهم الســنة المحمدية والطريقــة المرضية ولم يتعــدوا بها الى البدعــة الرديــة فحازوا بذلك الرتبة السنية والمنزلة العلية ٠

كما قال فى بحث الكلام :

ومن مذهب أهل الحق أن الله عز وجل لم يزل متكلما بكلام مسموع مفهوم مكتوب قال الله عز وجل (وكلم الله موسى تكليما)(٢) وروى عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما منكم من أحد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ثم ينظر أيمن منه فلا يرى الا شيئا قدمه ثم ينظر أشأم منه فلا يرى الا شيئا قدمه ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يقى وجهه النار ولو

---

(١) المــائده (٣) ٠
(٢) النســاء ـ ١٦٤) ٠

بشق تمرة فليفعل)وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما قتل عبد الله بن حرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ياجابر ألا أخبــرك ما قال الله لأبيــك قال بلى قال وما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا قال ياعبد الله تمن على أعطك قال يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية قال انه سبق منى أنهم لا يرجعون قال فابلغ من ورائى فانزل الله عز وجــل (ولا تحســبن الذين قتلوا فى ســبيل الله أمواتا بل أحيــاء عند ربهم يرزقون) (١) رواه ابن ماجه ٠

والقـــرآن كـــلام الله عــز وجــل ووحيــــه وتنزيــــله والمســـموع مــن القــارىء كــلام الله عــز وجــل قــال الله تبارك وتعالى (فأجره حتى يســمع كلام الله) وانما ســمعه من التالى وقال عز وجل (يريدون أن يبدلوا كلام الله(٢) وقال عز وجــل (انا نحن نزلنــا الذكــر وانا له لحافظون)(٣) وقال عز وجل (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين)(٤) وهو محفوظ فى الصدور كما قال عز وجل (بل هو آيات بينات فى صــدور الذيــن أتو العــلم)(٥) (١٠هـ من

---

(١) آل عمران ـ ١٦٩) ٠
(٢) الفتح ـ ١٥) ٠
(٣) الحجر ـ ٩) ٠
(٤) الشعراء ـ ١٩٢ ـ ١٩٣) ٠
(٥) العنكبوت ـ ٤٨) ٠

المجموعة العلمية السعودية من درر علماء السلف الصالح) تحقيق الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد) ·

وقال الشيخ العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى(١) :

الحمد لله المحمود بكل لسان ، المعبود فى كل زمان ، الذى لا يخلو عن علمه مكان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، جل عن الاشباه والأنداد ، وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمه فى جميع العباد ، ولا تمثله العقول بالتفكير ، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير ، (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)(٢) ·

له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى (الرحمن على العرش استوى ، له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ، وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) · ٥،٦،٧ سورة طه

أحاط بكل شىء علما ، وقهر كل مخلوق عزة وحكما ، ووسع كل شىء رحمة وعلما (يعلم ما

(١) المتوفى سنة ٦٢٠ هجرية ·

(٢) الشورى – ١١) ·

بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) · ١١٠ سورة طه

موصوف بما وصف به نفسه فى كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم ، وكل ما جاء فى القران أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن ، وجب الايمان به وتلقيه بالتسليم والقبول ، وترك التعرض له بالرد والتأويل ، والتشبيه ، وما أشكل من ذلك وجب اثباته لفظا وترك التعرض لمعناه ونرد علمه الى قائله ونجعل عهدته على ناقله ، اتباعا لطريق الراسخين فى العلم الذين أثنى الله عليهم فى كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) آية (٧) – ال عمران ، وقال فى ذم مبتغى التأويل لمتشابه تنزيله (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله) آية –٦– آل عمران – فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة فى الذم ، حجبهم عما أملوه وقطع أطماعهم عما قصدوه ، بقوله سبحانه (وما يعلم تأويله الا الله) · آية ٦ ال عمران

قال الامام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنه فى قول النبى صلى الله عليه

وسلم (ان الله ينزل الى سماء الدنيا - وأن الله يـرى فى القيامة) وما أشـبهه : هذه الأحاديث نؤمن بها ونصدق بها ، لا كيف ولا معنى ولا نرد شيئا منها ونعلم أن ما جاء به الرسـول حق ولا نرد على رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسـه بلا حد ولا غاية (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ، لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفيـن ، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشـابهه ، ولا نزيـل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نعلم كيف كنه (١) ذلك الا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت القرآن ٠

قال الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنـه : آمنـت بالله وبمـا جـاء عـن الله عـلى مـراد الله ، وآمنـت برسـول الله وبمـا جـاء عـن رسـول الله عـلى مراد رسول الله ، وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضى الله عنهم كلهم متفقون على الاقرار والامرار والاثبات لما ورد من الصفات فى كتاب الله وسـنة رسـوله من غير تعرض لتأويله وقد أمرنا بالاقتفـاء لآثـارهم والاهتـداء بمنارهم

(١) كنه الشيء : حقيقته ونهايته ٠

وحذرنا المحدثات(١)،وأخبرنا أنها من الضلالات فقال النبى صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتى وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجد واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعـة ضلالة) وقـال عبد الله بـن مسعود رضى الله عنـه اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ٠ (ا ٠ هـ مـن لمعـة الاعتقـاد الهادي الى سبيل الرشاد . لشيخ الاسلام موفق الدين عبد الله بـن أحمد بـن محمد بـن قدامة المقدسى) ٠

فهذه عقيدة شيخ الاسلام والشيخين الجليلين وهكذا سـائر الحنابلة ، أنهم كسـائر السـلف الكرام فى صفات الله جل وعلا ومنها كلامـه ، فهل فيها حـرف واحد مما يزعمه أولئـك الذين نسـبوه الى التشـبيه والتجسيم وأولئك الذين نسبو الى الحنابلة هذا الزعم الباطل ، وأنهـم يقولون أن الجلد والغلاف للقرآن قديمان ٠ ٠ ٠ يالها من فرية عظيمة لا تليق بمن لم يكن من أهل

(١) المنار : جمع منارة وهى العلامة تجعل بين الحدين ، ومنار الحرم : أعلامه التى شربها الخليل على أقطاره ونواحيه والميم زائدة ومنه حديث أبى هـريرة (ان للاسلام صـوى ومنارا) أى عـلامات وشرائع يعرف بها ٠

والمحدثات جمع محدثة بالفتح وهى مالم يكن معروفا فى كتاب ولا سنة ولا اجماع ، كذا فى النهاية ٠

العلم ، فكيف بمن يزعم أنه من العلماء ينتصب للتدريس والوعظ والارشاد والتأليف ، ويدعى أنه يقود الناس الى الصراط المستقيم ، الى صراط أهل السنة والجماعة ٠

فأين فى عقيدة أهل السنة والصحابة والتابعين والأئمة المهتدين كالامام الشافعى ومالك وأحمد ابن حنبل والامام أبى حنيفة وابن المبارك واسحاق بن راهويه والاوزاعى والنخعى والليث بن سعد والبخارى ومسلم وسائر أهل الصحاح والمسانيد ، تأويل الاستواء بالاستيلاء ونزول الله بنزول الرحمة واليد بالقدرة وكلام الله أنه مخلوق أو أنه عبارة عن كلام الله النفسى القائم بذاته ، وأما هذا القرآن الذى يتلوه الناس فهو حادث كما يقول الأشاعرة ٠ ٠ ٠ سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين) ٠ آية ١٥ من سورة النور ٠

الافتراء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من الحنابلة النجديين ورد تلك المفتريات

فكما افترى بعض المتكلمين على الحنابلة السابقين ، بأن رموا بعضهم بالتمثيل والتشبيه والتجسيم ، وبعضهم بهذه الفرية ، فقد افترى كثير من معاصرى الشيخ المجدد المصلح الشهير محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان التميمى (١) عليه وعلى اتباعه ، وتناقلها كثير من الناس ممن نسب نفسه الى العلم ومن العوام ، ونسبوا اليه ـ رحمه الله ـ والى أتباعه أنهم لا يجعلون للرسول حرمة ، بل يقول أحدهم عصاى خير من الرسول ، ولا يرون للعلماء والصالحين مقاما ، وينكرون شفاعة الرسول ، ويحرمون زيارة قبره وقبور سائر المؤمنين ، ولا يرون الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ولا يعتنون بكتب الأئمة ، بل يحرقونها ويتلفونها ، ولا يرون تقليدهم جائزا ، ويكفرون المسلمين من قرون عديدة ، سوى من كان على معتقدهم ، ويحرمون قراءة المولد النبوى ٠٠ الى غير ذلك من المزاعم

(١) ولد فى العيينة سنة ١١١٥هـ ـ وتوفى فى ذى القعدة سنة ١٢٠٦هـ ٠

والجواب : أن هذه الاشياء المنسوبة اليهم ، كلها كذب لا نصيب لها من الصحة أبدا ، وهذه كتبهم مطبوعة تباع وتوزع ، فمن أراد أن يعرف كذب هذه المزاعم فليقرأ كتبهم ٠

وكل ما فى الأمر،أن الشيخ محمد عبد الوهاب – رحمه الله – رأى أكثر أهل نجد وأهل الحجاز وأهل البصرة والعراق ، كماسمع بالنقل المتواتر عن سائر الاقطار الاخرى ، أنهم يؤلهون قبور الانبياء والاولياء والصالحين ، بل وكثيرا من الكهوف والغيران والأشجار ، يعتقدون فيها الضر والنفع ويطوفون حول قبورهم ، وينذرون لتلك القبور وتلك الأشجار ، ويقدمون لها القرابين ، ويحلفون بالأنبياء والصالحين ، ويستغيثون بهم فى الشدائد والملمات لدفع الكربات ، وكشف البليات وقضاء الحاجات ٠ ورأى تهاون أهل نجد بالصلاة ودفع الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، زيادة على بدعهم وضلالهم ، كما رأى علماء الاقطار وسكوتهم على تلك الترهات والمنكرات الا من قل وندر ، فقويت عزيمته وارادته بتوفيق من الله ، أن يدعو الناس الى الطريق المستقيم ، فدعاهم الى توحيد الله ، وافراده بالعبادة ، وبين لهم أن اعتقادكم بأن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت المدبر ، لا

ينجيكم من عذاب الله مادمتم لا تخلصون لله ، ولا تفردونه بالقصد والارادة فى عباداتكم بل تشركون معه نبيا أو صالحا أو شجرا ٠

وبين لهم أقسام التوحيد : توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الاسماء والصفات ، ووضح لهم أن اعتقاد توحيد الربوبية لا يكفى لدخول الانسان فى الاسلام ، لأن المشركين السابقين يعتقدون هذا الاعتقاد ، ولم يدخلهم فى الاسلام ، قال الله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم)

بل لابد من توحيد العبودية ، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ، فالصلاة والصوم والزكاة والحج والطواف والنذر والخشية والرغبة والتوكل والذبح والاستغاثة كلها من أفراد العبادة ٠ فمن نذر لغير الله أو استغاث بغيره أو طاف بالقبور أو اعتقد بواسطتها ينال خيرا ونفعا ، أو أنها تقربهم الى الله،فانه بذلك الاعتقاد يكون مشركا ٠

واستدل الشيخ على دعوته بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كقوله تعالى (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (١) الآية ، وقوله (ومن يدع مع الله الها

(١) سورة البقرة آية ٢١) ٠

آخر لا برهان له به ، فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكفرون)(١)،(ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين)(٢) · وكقوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له · ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب)(٣) ·

فكلمة من دون الله تشمل كل معبود غيره من نبى أو ملك أو ولى أو غيرهم ، واستدل الشيخ فى نهيه عن عبادة الصالحين والأولياء بقوله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا · أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون)(٤) وسيسأل الله المسيح عليه السلام يوم القيامة ليبكت المسيحيين الذين عبدوه وجعلوه الها من دون الله ، قال تعالى (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله(٥) وهنا يتبرأ المسيح ويجيب (قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته

(١) اية المؤمنون) ·
(٢) اية يونس) ·
(٣) آية الحج) ·
(٤) اية آل عمران) ·
(٥) اية المائدة) ·

فقد علمته · تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب)(١) ، فاذا كان الله ينكر على عباد المسيح وهو من النبيين المرسلين فكيف بمن يعبد غيره ·

وبالجملة ــ حثهم على التمسك بالكتاب والسنة ، وترك الشرك والبدع ، فقامت عند ذلك قيامة الجهال ، وأهل البدع والضلال ، وعلماء السوء ، وشنعوا على الشيخ ورموه بهذه الافتراءات ، وجرى ما جرى مما سجله التاريخ ·

والى القارىء تفنيد تلك المزاعم :

فنقول : بل يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ أفضل الأنبياء والمرسلين ــ فضلا عن سائر المخلوقين ــ ويؤمنون بشفاعته العظمى وغيرها من سائر الشفاعات(٢) ·

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ رحمه الله ــ فى رسالته التى كتبها لأهل القصيم : وأومن بشفاعته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبى الا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون الا من

(١) المائدة ·
(٢) لكن لا تطلب منه فى الدنيا بان يقول : اسألك الشفاعة بل يسأل الله ان يشفعه فيه وأن لا يحرمه من شفاعته صلى الله عليه وسلم ·

بعد الاذن والرضا ، كما قال الله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) ١٠ ـ هـ ٠(١) ٠

ويرون أن الصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أجل القربات وأفضل الطاعات بل يرون أن الصلاة على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ركن من أركان الصلاة ، لا تصح الصلاة الا بالصلاة على الرسول ، بينما سائر المذاهب يرون أنها سنة فى الصلاة فقط ٠ (٢)

فمن منهم أكثر محبة وتعظيما للرسول صلى الله عليه وسلم ؟

ولم يكفروا مرتكب الكبائر ـ كما عليه أهل السنة ـ ، ولم يقولوا بكفر جميع الناس ، كما زعم الكذابون ، بل قالوا من عبد غير الله ، كأن يتقرب الى قبر نبى أو صالح أو شجرة أو كهف ، بصلاة أو صدقة أو نذر أو ذبح ، أو يعتقد فى مخلوق ضرا ونفعا ، فهذا يكون مشركا لقوله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه،انه لا يفلح الكافرون)(٣) وقوله تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله

---

(١) البقرة ـ ٢٥٦) ٠

(٢) ولكن فى مذهب الامام الشافعى قول بأنها من فروض الصلاة ومذهب مالك وابى حنيفة أنها سنة وهو قول للامام الشافعى ٠

(٣) اية المؤمنون ٠

عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار) (١) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)(٢) ٠

ولا يشك عاقل مسلم أن الطواف عبادة ، والنذر عبادة والصلاة عبادة والذبح عبادة والدعاء عبادة ، فاذا صرف منها شيئا لغير الله يكون قد أشرك مع الله الها آخر ، ولكن لا يبادرون أحدا بالتكفير ، حتى يقيموا عليه الحجة من الكتاب والسنة ، ولم يقل أحد منهم أن عصاى خير من الرسول ، بل لم يقولوا أن ابراهيم الخليل خير من الرسول ، فضلا عن العصا ، ولا يحرمون زيارة قبر الرسول ، ولا زيارة سائر القبور ، بل يقولون مسنونة ، الا النساء فانهم يمنعونهن من الزيارة ، لحديث (لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد) ، ولكن يحرمون شد الرحال الى قبور الأنبياء وغيرهم ، للحديث الوارد (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد

---

(١) اية المائدة ٠

(٢) اية الكهف ٠

الأقصى) ، وينبغى أن يقصد زيارة المسجد(١) لنص الحديث ، فاذا ورد هناك فليسلم على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصاحبيه ، ويزور البقيع ٠

فاذا كانت زيارة سائر قبور المؤمنين سنة للحديث الوارد (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) فكيف بزيارة قبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟؟

ويرون للعلماء والصالحين مقاما عظيما ، وينتفعون بكتبهم ، ويشترونها بأغلى الأثمان ، من سائر المذاهب ٠ لكنهم يقولون « ان العلماء والصالحين وحتى الأنبياء والمرسلين لا يستحقون

---

(١) وقد أحسن من قال من أفاضل أهل نجد ٠

وان رمت للهادى البشير زيارة
تحط بها ذنبا وتمحو بها وزرا

فقدم عليها نية المسجد الذى
به الله فى الاذكار قد رفع الذكرا

وثم اذا نلت الامانى بقربه
وشاهدت من أركانه النور والفخرا

فبادر على العينين والراس ماشيا
وقابل امام المرسلين أبا الزهرا

وسلم عليه من قريب وفز بما
سعدت به من زورة تشرح الصدرا

فقل هل ترى فيما نقول ملامة
ولكن أعمى العين لا يبصر الفجرا

العبادة ، لأن العبادة مختصة بالله رب العالمين ولأننا اذا عبدناهم جعلناهم آلهة وهم لا يرضون بذلك ، ولكن علينا أن نعظمهم ونتبعهم فى هديهم الموافق لهدى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونتنفع بعلمهم وكتبهم ٠

وكيف لا يحبون العلماء وهم ورثة الأنبياء ونجوم أهل الغبراء ؟؟ ، ولم يحرموا تقليد الأئمة المعتبرين ، مع العلم ما فى التقليد من الخلاف ، فمن العلماء من حرمه مطلقا ، ومنهم من أجازه مطلقا من غير تفصيل ، ومنهم من قال: يحرم على المجتهد ، أو من يكون قادرا على الاجتهاد ، ويجب على غير القادر ٠

والشيخ محمد عبد الوهاب كان حنبليا وأتباعه حنابلة ، فلو كانوا يحرمون التقليد لما كانوا حنابلة ، وأكثر كتبهم التى يقرؤونها ويدرسونها وينتفعون بها هى كتب الحنابلة الأقدمين والسابقين خصوصا ، وكتب أتباع المذاهب عموما ٠

نعم كان الشيخ ـ رحمه الله ـ وأتباعه من بعده ، على أنه يجب الأخذ بالدليل الذى لا معارض له ، ولا مخصص ولا ناسخ ، ولو خالف المذهب ، وبالفعل يأخذ علماؤهم بالدليل فى بعض المسائل ، خلاف المذهب ، على أنه قل أن

يوجد قول مؤيد بالدليل والحال مخالف للمذهب المعتمد ، وليس فيه رواية عن الامام أحمد ، على أننا لو سلمنا تسليما جدليا ، أنهم منعوا التقليد فليسوا بالمنفردين لذلك ، بل الخلاف موجود ، وهذه كتب الأصول موجودة فى امكان كل واحد فاهم ، أن يقرأ باب الاجتهاد والتقليد (١) ، ليعرف ما فى التقليد من الخلاف ، فأى ذنب اذا للحنابلة النجديين ؟؟

وأما زعمهم أنهم حرموا قراءة المولد الشريف فهذا يدل على جهل عميق من القائلين ، كسائر جهالاتهم السابقة ، وتعصبهم الفاسد ، اذ كل من شم رائحة العلم يعلم أن الاحتفال بالمولد حدث فى القرن السابع ، والذى أحدثه هو الملك المظفر صاحب اربل ، وأقام الولائم الضخمة حتى قيل : كان يذبح فى ليلة المولد عشرة آلاف رأس من الأغنام وسبقه الفاطميون فى مصر فى القرن الرابع الهجرى كما أسسوا المآتم وبنوا ضريحا سموه قبر الحسين وهو كذب لا أثر له من الصحة ·

---

(١) وان أردت أيها القارىء كتابا مخصوصا ، فاقرأ اعلام الموقعين » لترى البحث المستفيض فى هذا الشان ، ورسالة للشوكانى تسمى القول المفيد فى الاجتهاد والتقليد ، وكتاب » ايقاظ همم أولى الاعتبار للفلانى » والاقليد للشيخ صديق بن حسن خان ، وتنزية السنة والقرآن لكاتب هذه السطور ·

ومن حين ما حدث اختلف العلماء ، فمنهم من قال أن الاحتفال بالمولد بدعة حسنة ، ومن العلماء من قال ، أنها بدعة ، وكل بدعة ضلالة كما فى نص الحديث ، والرسول قد وردت عنه عدة أحاديث تحذر عن البدع والمحدثات كقوله (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور ، فان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار) · رواه الترمذى وحسنه ولم يأت ما يخصص هذا العموم حتى يزعموا انها بدعة حسنة ·

وقراءة المولد ، باب من أبواب السيرة النبوية ، وقراءة الانسان سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشمائله ومعجزاته ، وهجرته وغزواته ، لا شك أنها تزيد الايمان وتقويه ، وينبغى للمسلم أن يكون ملما بسيرته ومناقبه صلى الله عليه وسلم ـ حتى يعرف حقيقة هذا الرسول العظيم ، الذى أرسله الله رحمة للعالمين ·

والشيخ محمد ـ رحمه الله ـ ألف مختصر السيرة ، وقد طبع عدة مرات ، وانتشر فى سائر الاقطار ، فلو لم يكن محبا للرسول ، لما ألف سيرة له ، ومن لا يحب الرسول ، لا يكون مسلما بل يكون يهوديا أو مسيحيا ·

والشيخ وأتباعه يحثون الناس على التمسك بسنة الرسول الصحيحة ، ويشددون النكير على من يخالف سنة الرسول ، ويعدونه مبتدعا ·

أما هذا دليل على كمال حبهم وتعظيمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟ ولكن المنحرفين يرون حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى قراءة الأناشيد والاشعار والاستغاثات بالرسول وقراءة البرزنجي وأمثاله ·· فمن عمل بهذا فهو محب للرسول – وان ارتكب الموبقات ، وتلطخ بقاذورات المبتدعات ومن لا فلا ·

والنقطة الحساسة فى هذا المقام : أنه لا خلاف فى قراءة سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – من ولادته وشمائله ، ولكن الاحتفال فى ليلة الثانى عشر من شهر ربيع الاول ، وقراءة كتاب مخصوص ، ودق الدفوف ، وما يحصل من الاختلاط والامور المحرمة ، فهذا هو المنكر المبتدع ·

والا فمن أراد أن يقرأ سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ويفهم الناس أخلاقه العظيمة وشمائله الكريمة ، فلا مانع هنالك ، بل يستحب ذلك فى أى وقت أراد ·

لكن هذه الأكاذيب والافتراءات ، افترتها الاشراف والاتراك، وبعض علماء السوء،تنفيرا عن دعوة الشيخ لما رأوا أن الدولة السعودية فى ذلك الوقت قد قويت ، ودخلت نجد كلها فى طاعتها ، وامتد سلطانها الى عسير والحجاز وعمان ، وغزت العراق ، فحاربوها بمثل هذه الاشاعات والتهم ، كما حاربوها بالسيف والسنان · والتاريخ شاهد بذلك ، ولكن أبى الله ألا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ·

وللشيخ مؤلفات عديدة أشهرها كتاب التوحيد وشرحه حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن وسماه فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ، وللشيخ محمد كتاب الكبائر ونصيحة المسلمين ورسالة كشف الشبهات ومسائل الجاهلية ، كما أن له رسائل عديدة مختصرة كثلاثة الأصول(١) ·

وها أنا أنقل للقارىء رسالة من رسائله ليعلم أن ما روجه أعداؤه من أنه كان مخالفا للسلف الصالح أو مذاهب الائمة الاربعة ، أو أنه كان يكفر الناس ولا يحب الرسول ولا الانبياء ولا الأولياء الى غير ذلك من الافتراءات التى أملاها

(١) كما أن له مختصر الانصاف ، والشرح الكبير ، ومختصر السيرة ، ومختصر زاد المعاد وغيرها من كتب ورسائل ·

الشيطان على ألسنتهم ، وسولت لهم أنفسهم بغية الصد عن دين الله ، وتنفير الناس عن اتباع الشيخ وخدمة للدولة العثمانية وحكومة الاشراف بالحجاز ، لأنهما رأيا أن فى دعوة الشيخ خطرا على حكومتهم وهاك نص الرسالة :

قال شيخ الاسلام العالم الربانى ، مجدد الدعوة الاسلامية ، والملة الحنيفية أوحد العلماء وأروع الزهاد ، الشيخ (محمد عبد الوهاب) أجزل الله له الأجر والثواب ، وأسكنه الجنة بغير حساب لما سأله أهل القصيم عن عقيدته :

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد الله ومن حضرنى من الملائكة وأشهدكم انى أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم — من غير تحريف ولا تعطيل ، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، فلا انفى عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه ولا الحد فى أسمائه وآياته ولا أكيف ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه لانه تعالى لاسمى له ولا كفؤ له ولا ند له

ولا يقاس بخلقه فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل ، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل فقال : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين)(١) ٠ والفرقة الناجية وسط فى باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية ، وهم وسط فى باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية ، وهم وسط فى باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية ، وهم وسط فى باب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج ٠

وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأؤمن بأن الله فعال لما يريد ولا يكون شىء الا بارادته ولا يخرج شىء عن مشيئته وليس شىء فى العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له فى اللوح المسطور ٠

(١) ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ (الصافات) ٠

وأعتقد الايمان بكل ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت ، فأومن بفتنة القبر ونعيمه وباعادة الارواح الى الاجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غر لا تدنو منهم الشمس وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون)(١) وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ·

وأومن بحوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم ·

وأومن بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم الا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون الا من بعد الاذن والرضى كما قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)(٢) وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه)(٣) وقال تعالى (وكم من ملك

(١) ١٠٢ ، ١٠٣ المؤمنون · (٢) ٢٨ الانبياء
(٣) ٢٥٥ البقرة ·

فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)(١) وهو لا يرضى الا التوحيد ، ولا يأذن الا لأهله وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)(٢) ·

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما اليوم موجودتان ، وأنهما لا يفنيان ، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته ·

وأومن بأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ، ولا يصح ايمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ، وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم على المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم ، وأتولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذكر محاسنهم وأترضى عنهم وأستغفر لهم وأكف عن مساويهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين

(١) ٢٦ النجم ٢٦ · (٢) ٤٨ المدثر ·

سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غـلا للذين آمنـوا ربنا انك رؤوف رحيم)(١) وأترضى عن أمهات المؤمنيـن المطهرات من كـل سوء وأقر بكرامات الأولياء(٢) وما لهم من المكاشفات الا

---

(١) ١٠ الحشر ٠

(٢) وأكثر ما ينسب ويذكر للاولياء مـن الكرامات ، كمـا فى طبقات الشـعراني وغيره ـ مختـلق لا أصـل له ، وفيه من الغـــلو والمجازفات وجعل العبد فى صف الخالق ما لا يخفى عـلى من شـم رائحة العلم ، وكثير منها مخالف للعقل وللذوق فضلا عن الشرع ، كمثلما يذكرون أن وليا رأوه يفعل فى حمارة ، فأراد بعضهم أن ينكر عليه ، فاعترضه آخرون قائلين : أن الشيخ له كرامات وربما حـول امرأته الى حمارة ، وبعضهم يجلس مكشـوف العورة طويل الاظافر يتغوط ويبول تحته ويزعم أنه مجذوب ، ويزعم المحبون أن له كرامات ويسردون للناس مـن كراماته وكرامات المقبورين ما تمجـه العقـول وتنفر منه الطباع ، ويؤول بصاحبه الى الكفر والنفاق ، كقول بعضهم أن امرأة عجوزة كانت تسكن ببغـداد ، وليس عنـدها من الابنـاء الا ابن واحد ، فتوفى ابنها فى ريعان شبابه ، فجـاءت الى الشـيخ عبد القادر ـ رحمه الله ـ تشكو عنده ملك الموت أنـه قبض ابنهـا الوحيد ولا عائل لهـا ، فذهب الشـيخ الى السـموات ، وأدرك ملك الموت فى السماء الرابعة ٠ واذ فى يديه طبق قد قبض فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف من أرواح المخلوقين من مواطنى بغداد ، فصفعه صـفعة سقط الطبق من يديه فرجعت الارواح الى أجسادها وأصبحوا أحيـاء بعد أن كانوا أمواتا ببركة الشيخ ، فهل يصـدق مثل هـذه الكرامة أو هذه الحكاية المصنوعة من يملك ذرة من عقل وهل وصل نبى مـن الانبياء بل هل وصل سيد المرسلين الى هذه الدرجة بل الى ارجاع روح واحدة ، أما خاطب الله نبيـه الكريم قائلا « (انك ميت وانهـم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) (١) وأين الشـيخ عبد القادر رحمه الله ـ اليـوم ، أما هو تحت أطبـاق الثرى ، مـن لا يسـتطيع عن نفسـه دفـع المـرض فضـلا عـن المـوت فكيف يستطيع دفعه عن غيره ، وأين هؤلاء الجهلة من قوله تعالى يخاطب =

أنهم لا يسـتحقون من حق الله تعالى شـيئا ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه الا الله ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار الا من شهد له رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ولا أكفر أحدا من المسلمين بذنب ، ولا أخرجـه من دائـرة الاسـلام وأرى الجهاد ماضيا مع كل امام بـرا كان أو فاجـرا وصلاة الجماعة خلفهم جائـزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى ان يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائـر ولا عدل عادل ، وأرى وجوب السـمع والطاعة لأئمة المسـلمين برهم وفاجـرهم ما لم يأمـروا بمعصية الله ، ومن ولى الخلافة واجتمع عليـه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه ، وأرى هجـر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم

= رسوله العظيم (وأن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ون يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشـاء من عبـاده وهـو الغفـور الرحيم) (٢) ، وقال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف لـه الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) (٣) وقال تعالى مخاطبا نبيه العظيم (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شـاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السؤ ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (٤) ٠

(١) ٣٠ ، ٣١ الزمر ٠ (٢) ١٠٧ يونس ٠

(٣) ١٧ الانعام ٠ (٤) ١٨٨ الاعراف ٠

بالظاهر وأكل سرائرهم الى الله ، وأعتقد أن كل محدثة فى الدين بدعة ٠

وأعتقد أن الايمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، وأرى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة ٠

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال لتطلعوا على ما عندى والله على ما نقول وكيل ٠

ثم لا يخفى عليكم أنه بلغنى أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت اليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم فى جهتكم والله يعلم أن الرجل افترى على أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالى (فمنها) قوله انى مبطل كتب المذاهب الاربعة ، وانى أقول أن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شىء وانى ادعى الاجتهاد ، وانى خارج عن التقليد وانى أقول ان اختلاف العلماء نقمة وانى أكفر من توسل بالصالحين ، وانى أكفر البوصيرى لقوله ياأكرم الخلق ، وانى أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت

ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب ، وانى أحرم زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ـ وانى أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، وانى أكفر من حلف بغير الله ، وانى أكفر ابن الفارض وابن عربى ، وانى أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين ٠

جوابى عن هذه المسائل أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم ، وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم انه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور ، قال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون) بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول أن الملائكة وعيسى وعزيرا فى النار ٠

فأنزل الله فى ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الآية (١)٠

وأما المسائل الأخر وهى أنى أقول لا يتم اسلام الانسان حتى يعرف معنى لا اله الا الله وأنى أعرف من يأتينى بمعناها وأنى أكفر الناذر اذا أراد بنذره التقرب لغير الله وأخذ النذر لأجل ذلك وأن الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام ، فهذه المسائل حق وانا قائل بها ، ولى عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله ومن أقوال

(١) ١٠٥ الانبياء ٠

العلماء المتبعين كالأئمة الاربعة ، واذا سهل الله تعالى بسطت الجواب عليها فى رسالة مستقلة ان شاء الله تعالى .

ثم اعلموا وتدبروا قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة)(١) .. الآية ١٠هـ (مجموعة رسائل التوحيد ـ جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم) .

فهل فى هذه الرسالة وفى كتاب التوحيد الذى انتشر فى الشرق وفى الغرب يستطيع عالم فضلا عن جاهل أن يأتى بكلمة يدين بها الشيخ رحمه الله مما زعمه أولئك المغرضون ، ومثل هذه الرسالة عدة رسائل كتبها الشيخ رحمه الله الى كثيرين منها : الى عبد الله بن محمد عبد اللطيف الاحسائى ، وكتب الى علماء مكة وعالم من علماء المدينة ، وكتب الى من يصل اليه من المسلمين رسالة ، والى السويدى عالم أهل العراق فى زمانه ، والى أهل المغرب والى رئيس بادية الشام ، والى البكيلى اليمانى ، والى الشيخ اسماعيل الجراعى والى غير هؤلاء ، وفى كثير منها ينفى ما نسب اليه من عدم محبة الأولياء والصالحين وتكفير الناس أجمعين الا

(١) ٦ الحجرات .

من كان على مذهبه ومنع زيارة القبور ومنها زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ سوى منع شد الرحال الا الى المساجد الثلاثة ، فانه قد اتبع الحديث ، وعدم احترام الأئمة الاربعة وغيرهم واتلاف كتبهم الى غير ذلك مما صنعه المفترون ، وكل هذا كان جوابه رحمه الله ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

ومن يشك فيما أقول ، فليقرأ كتبهم ليعلم حقيقة الحال ، ولا يروج عليه ما يفتريه الجهال ، أو فليقرأ التواريخ التى الفت لنجد كعنوان المجد لابن بشر ، وتاريخ ابن غنام الاحسائى ، وتاريخ نجد للألوسى وجزيرة العرب فى القرن العشرين لحافظ وهبه ، وتاريخ نجد القديم والحديث للريحانى المسيحى .

ويقرأ الكتب التى ألفت فى تراجم الشيخ ، مثل كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن عبد الغفور الحجازى ، ورسالة مختصرة فى ترجمة الشيخ لعلى الطنطاوى ، كما أنى كتبت فى ترجمته كتابا أسميته (الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عقيدته السلفية ، ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه) .

وأما ما ذكره الكتاب والمؤرخون فى حقيقة دعوته والثناء عليه ، فأكثر من أن يحصر مثل :

حاضر العالم الاسلامى وتعليقات شكيب أرسلان ومثل ما كتبه الزركلى فى الاعلام ، كما ترجم له ـ رحمه الله ـ عبد الكريم الخطيب(١)، حتى أن كثيرا من المستشرقين كتبوا عن دعوة الشيخ وأثنوا عليها ، هدانا الله واخواننا المسلمين الى سلوك الطريق المستقيم ٠

وخلاصة ما فى الأمر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ أجزل الله لهالأجر والثواب ـ قال للناس لا تعبدوا الا الله ولا تتبعوا الا الرسول محمد بن عبد الله وأصحابه ٠ صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ٠

هل قال الا وحدوا رب السما
وذروا عبادة ما سوى المتفرد

وتمسكوا بالسنة البيضا
ولا تتنطعوا بزيارة وتردد

هذا الذى جعلوه غشا وهو قد
بعثت به الرسل الكرام لمن هدى

من عهد نوح هكذا تترى الى
عهد النبى الهاشمى محمد

وهى دعوة جميع الأنبياء والرسل ، فان كانت

(١) والامام محمد بن عبد الوهاب لعبد الحليم الجندى ومحمد ابن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه لمسعود الندرى ٠

الرسل قد قالوا لأممهم اعبدوا الله ولا تعبدوا الاوثان والاصنام فقد قال الشيخ اعبدوا الله وحده وذروا عبادة القبور والاشجار والغيران والكهوف وكل شىء سوى الله لأن عبادة هذه الأشياء هى الوثنية بعينها ، وكونهم كانوا يعتقدون بأن الله خالق ورازق ومحيى ومميت ، وأن محمدا رسول ، لا يفيدهم شيئا بعد أن أشركوا به غيره ، ولكن مع ذلك كله ما كان الشيخ يحكم بتكفير أحد الا بعد اقامة الحجة عليه ٠

وأحب أن يفهم القارىء أو السامع الأسباب والبواعث لانتشار تلك المفاهيم المغلوطة عن الشيخ محمد وأتباعه وتلك الافتراءات المنسوبة اليهم ، فتفضل اقرأ باختصار :

لما فشلت علماء الضلال من القبوريين والمتصوفة وأمثالهم فى ميدان الحجج ، كتب كثير منهم الى الدولة العثمانية يحرضونها على الشيخ وأتباعه بأنه خارج عن دائرة المذاهب الاربعة وأنه مبتدع ويكفر الناس ، الى غير ذلك من تلك الأكاذيب الملفقة التى أوحاها اليهم الشيطان وحب الرئاسة والأصفر الرنان ، ومازالوا بالعثمانيين يتوسلون اليهم والى قواد جيشهم حتى انخدعت الدولة بأولئك المفترين وزاد

الطين بلة ، ما رأت الدولة من قوة انتشار دعوة الشيخ وتأسيس دولة آل سعود ، ورأت أن الدولة السعودية قد بسطت نفوذها على نجد وامتد الى عمان ، وأخذت تغزو العراق وأطراف الشام وخافت أن يزول استعمارها من البلدان العربية لاسيما بعدما فتح آل سعود مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ ،قام العثمانيون عندئذ بدورهم السياسى واستعملوا القلم والسنان ضد الشيخ وأتباعه النجديين ٠

أما القلم فأخذوا يوعزون الى بعض العلماء ممن قل نصيبه من الدين والعقل والحياء ، بأن يؤلفوا ضد الشيخ وأتباعه ، وينشروا بين الناس تلك الأكاذيب ٠

وأما السنان فقد أمرت الدولة (محمد على باشا) واليها بمصر ، أن يجهز الجيوش الجرارة لحرب النجديين وابادتهم ٠٠٠ وجرى ما جرى ٠

وقامت أشراف الحجاز بدورهم السياسى قبل الترك ، وحاربوا السعوديين والدعوة السلفية ، ولكنهم باءوا بالفشل الذريع واندحروا وتم للسعوديين فتح مكة ٠

كما حاربوا السعوديين قبل استيلائهم على مكة المكرمة وبعد خروجهم منها بنشر الدعايات

الكاذبة والافتراءات الصريحة وايعازهم الى بعض علمائهم ، بتأليف كتب ضد دعوة الشيخ وأتباعه ٠

فألف مأجورو الترك والأشراف كتبا ، شحنوها بالاكاذيب والترهات ، وحشوها بالأحاديث الموضوعة والضعيفة والحكايات السمجة ضد الدعوة السلفية ، وزعموا أن الشيخ مبتدع خارجى ٠

حتى أن (زينى دحلان) نزل الأحاديث الواردة فى الخوارج ، على الشيخ وأتباعه ، فى كتابه (الدرر السنية) وفى (الفتوحات الاسلامية)٠

فعلوا كل ذلك تنفيرا للناس ، كيلا يتبعوا الشيخ الجليل ، ويعتنقوا مبدأه الصحيح ٠

ومن دعايات الأتراك والاشراف المنفرة للناس ، نبزهم لأتباع الشيخ بالوهابية وجعلهم هذا اللقب على هذه الفرقة السلفية كعنوان لخروج هذه الفرقة عن المذاهب وعدم محبة النبى والصالحين ٠ وكذبوا والله فى ذلك ٠

والقصد الوحيد من تلك الدعايات والاشاعات الباطلة ، صد الناس عن اعتناق الدعوة ٠

وأمر آخر وهو أن لا تقوى شوكة السعوديين ويتسع نفوذهم ، كى تبقى سيطرة الاتراك ،

وامـارة الاشـراف • ولكن الله رد كيـدهم فى نحرهم ، وعاملهم بنقيض قصدهم ، فانتشـرت دعوة الشيخ فى سائر الاقطار ، وعرف كثير من الناس صحتها وحقيقتها ، وأنها لا تخـرج عن نطاق الكتاب والسنة ، فاعتنقها كثيرون وألف جمع من المعتنقين لها كتبا فى تأييدها والدفاع عنها •

وهاك زيادة على ما قدمناه من رسالة الشيخ الامام محمد بن عبد الوهـاب ، ما قالـه الشيخ سـعد بن حمد بن عتيـق (١) أحد علماء نجـد المتأخرين •

لما ذهب الشيخ الى الهند وسئل هناك عمـا يعتقده ويعتقده مشايخه من علماء الدعـوة فى ثلاث مسائل الاولى : فى حكم الاستغاثة بالنبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ كقول القائل « أغثنى يا رسول الله،اشفع لى،فرج كربى••ونحو ذلك•

والثانية : فى شـد الرحـال الى قبـر النبى ـ صلى الله عليـه وسـلم وأقـول ومثله سـائر الأنبيـاء •

والثالثة : فى التوسل به عليه الصلاة والسلام

فأجاب فى المسـائل الثلاث بجـواب مفيـد ، مستدلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية •••

---

(١) المتوفى سنة ١٣٤٩هـ ـ رحمه الله ـ

قـال فى جـوابه عن المسـألة الاولى « الذى نعتقـده وندين لله تعـالى به فى هذه المسـائل وغيرها ، هو ما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسـوله صلى الله عليه وسـلم ، فان الله تعالى أنـزل كتابـه وأرسـل رسـوله ليبين للناس ما يهتدون به ويخلصهم من ظلمات الجهل والضلال ويوصلهم الى ربهم سـبحانه وتعالى ، كما قال (وما أرسلناك الا رحمة للعالميـن)(١) وقـال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السـلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) (٢) ، وقال تعالى (الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صـراط العزيز الحميد)(٣) ، وقـال تعالى (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)(٤) قال ابن عبـاس رضى الله عنهما « تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل فى الدنيـا ولا يشقى فى الآخرة ، ثم قال : (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتـك آياتنـا فنسيتها وكذلك اليـوم تنسى)(٥) •

---

(١) ١٠٧ الانبياء •
(٢) ١٥ ، ١٦ المـائدة •
(٣) ابراهيم •
(٤) ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ طه
(٥) طـه •

أما ما يفعله أكثر الناس عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم – من دعائه والتضرع اليه وسؤاله بأنواع السؤال وكذلك ما يفعله عباد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم فى الشدائد والمهمات والاستنجاد بهم فى تفريج الكربات واغاثة اللهفات كل ذلك من أعظم المحدثات وأكبر المنكرات لأنه من الدعاء الذى هو مخ العبادة التى هى حق الله تعالى كما قال : (يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكمتتقون (١) • وقال تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (٢) • وقال تعالى (اياك نعبدك واياك نستعين)(٣)أى لا نعبد الا اياك ولا نستعين الا بك كما يفيده تقدم المعمول ، وهذا معنى قوله (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه)(٤) وقوله : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)(٥) وقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (٦) فدلت هذه الآيات أوضح دلالة على أن العبادة بجميع أنواعها حق لله تعالى ، مختصة به لا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهما من الأولياء والصالحين وغيرهم من الاشجار

(١) ٢١ البقرة • (٢) ٩٩ الحجر •
(٣) ٤ الفاتحة • (٤) ٢٢ الاسراء •
(٥) ٢٦ النحل • (٦) ٣٦ النساء •

والأحجار •

ولما كانت العبادة مختصة به تعالى أمرنا باخلاصها له كما قال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (١) وغير ذلك من الآيات الدالة على اختصاصه تعالى بالعبادة بجميع أنواعها •

ومن أعظم أنواعها الدعاء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : الدعاء مخ العبادة ، فمن دعا أحدا غير الله فقد عبده ، فان الله تعالى قد سمى الدعاء عبادة فى غير موضع من كتابه ، كما قال تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين)(٢) فسماه دعاء ثم سماه عبادة ؤ وقال تعالى : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) (٣) فسماه فى أول الآية دعاء وسماه فى آخرها عبادة ، وقد أفصح القرآن فى مواضع بالنهى عن دعاء غبر الله كما قال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين)(٤) أى

(١) ٥ البينة • (٢) ٦٠ المؤمن •
(٣) ٥ ، ٦ الاحقاف • (٤) ١٠٦ يونس •

المشركين ، كما قال تعالى فى الآية الأخرى (ان الشرك لظلم عظيم) وقال تعالى : (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا)(١) وصرح سبحانه بكفر من دعا غيره ، فقال تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانماحسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون)(٢) فدلت هذه الآيات على أنه سبحانه هو الاله الحق المتفرد بالعبادة كما قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وان مايدعون من دونه هو الباطل)(٣) ·

فمن دعا غير الله من نبى أو ملك أو صالح أو غيرهم · فقد أتى بالشرك الذى قال الله فيه (ان الله لا يغفر أن يشرك به)(٤) وشرع دينا لم يأذن به الله كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله(٥) والله تعالى : انما شرع لعباده توحيده واخلاص العبادة له كما قال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه)(٦) ·

---

(١) ١٨ الجن ·
(٢) ١١٧ المؤمنون ·
(٣) ٦٢ الحج ·
(٤) ٤٨ النساء ·
(٥) ٢١ الشورى ·
(٦) ١٢ الشورى ·

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الظاهرة والباطنة مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والذبح ·

فمن أخلص هذه العبادة بجميع أنواعها لله تعالى فهو المسلم وان فعل الكبائر · ومن أشرك فى شيء من أنواعها مخلوقا نبيا أو ملكا أو صالحا أو شيطانا أو شجرا أو حجرا فقد بدل الدين وأشرك برب العالمين وسلك ضد سبيل المؤمنين ، وقد قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)(١) ومما ذكرنا يعرف مراد النبى صلى الله علي وسلم من النهى عن الصلاة عند القبور والبناء عليها واتخاذها مساجد ولعن فاعل ذلك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وانما نهى عن ذلك واشتد نكيره على فاعله لأنه ذريعة الى الشرك فى العبادة التى هى حق الله تعالى ، وفى الصحيح عن عائشة أن أم سلمة رضى الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال (أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنو على قبره مسجدا وصوروا فيه

---

(١) ٨٥ ال عمران ·

تلك الصــور أولئك شــرار الخـلق عنـد الله وفى حديـث جندب بـن عبد الله مرفوعـا « ألا وان مـن كـان قبـلكم كانـوا يتخـذون قبـور انبيائهـم مسـاجد ألا فلا تتخـذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك » ٠

ونهى النبى صلى الله عليه وسلم : عن الغلو والاطراء وهو مجاوزة الحد كما قال صلى الله عليه وسلم « لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مزيم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسـوله » ، وقال صلى الله عليه وسلم « اياكم والغلو فانما أهلك مـن كـان قبلكـم الغلو » وقال صـلى الله عليه وسلم ـ للذى قـال قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ (من هذا المنافق أنه لا يستغاث بى وانما يستغاث بالله (وقد وقع ما حذر منه صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو والاطراء وفشى ذلك فى البـلاد والعبـاد حتى عظمت الفتنة واستحكم الشـر وتفاقـم الأمـر واشتدت الفتنة بالقبور وأهلهـا حتى وقعوا فى الغاية التى لأجلها نهى صلى الله عليه وسلم عن الغلو وعن البناء على القبور واتخاذها مساجد وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعـة سنة والسنة بدعة وباشـر أكثر الخـلق جهارا ماجاءهـم فيه النهى الصـريح من ربهم ونبيهم

صلى الله عليه وسلم وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبـا كما بدأ) فانا لله وانا اليه راجعون ٠

وبما حررنا تعرف أن ما يفعله القبوريون اليوم فى مصر والشام والعـراق والهند وغيرها من البلاد من عبـادة القبـور والاستمداد بأهلهـا وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات كقول بعضهم يافلان أغثنى أو يافلان أشف مريضـى ورد غائبى ،وأنا فى حسبك٠ ونحو هذه الالفاظ، ان هذا هو الشرك المبين والضلال البعيد كمـا قال تعالى (يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد) (١) وفى الاتيان بالكاف التى هى للبعد وتوسط اللام بينهما وبين اسم الاشارة واقحـام ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر مع تعريفه ووصفه بالبعد ما يقتضى أن هؤلاء قد بلغوا من الضلال والغواية والبعد عن الصراط المستقيم الى مالا نهاية له كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون)(٢) قال المفسرون معنى قوله من أضل أى لاأحد أضل منه ، ولهذا كان هذا الذنب أعظم الذنوب عنـد الله وأكبر الكبائر ورتب عليـه الخلود فى النار

(١) ١٢ الحج ٠ (٢) ٥ الاحقاق

وحرم أهله جنته كما قال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)(١) وقال : (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)(٢) وقال تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)(٣) وفى الصحيح عن ابن مسعود مرفوعا أى الذنب أعظم قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال : أن تقتل ولدك خشيةأن يطعم معك قال ثم أىقال: أن تزانى حليلة جارك : فأنزل الله تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون)(٤) ·

---

(١) ٧٢ المائدة ·
(٢) ٦٥ الزمر ·
(٣) ٨٨ الانعام ·
(٤) ٦٨ الفرقان ·

المسألة الثانية

وأما المسألة الثانية وهى مسألة شد الرحل لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ـ فقد جوز طائفة من متأخرى العلماء شد الرحل الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك قبور الصالحين،وخالفهم طوائف من المحققين·والذى نعتقده هو مادل عليه الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى ، وبهذا الحديث الصحيح تعرف بطلان قول المجوزين ، فان كل قول يخالف قول سيد المرسلين مردود على قائله مضروب به فى وجهه لا يلتفت اليه ولا يعول عليه ·

وكل أحد من أفراد الأمة وان بلغ فى العلم ما عسى أن يبلغ فهو أنقص من أن يرد لقوله قول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ـ لاسيما أن كان ذلك القائل فى القرون المتأخرة المفضولة كما فى مسألتنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وتقولون قال أبو بكر وعمر فاذا كان هذا فيمن اختار قول أبى بكر وعمر على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكف تكون حال من رد

قوله صلى الله عليه وسلم لقول عالم من العلماء .

فمن شد الرحل لزيارة القبر الشريف أو غيره من قبور الصالحين فهذا ممنوع لما في هذا الحديث من حصر جواز ذلك في المساجد الثلاثة .

والذي يشد الرحل لزيارة القبور أي قبر كان ، داخل في هذا النهي ، لكن ينبغي لمن يشد الرحل الى أحد المساجد الثلاثة ان يزور من هناك من الصالحين فان زيارة القبور من غير شد رحل سنة مرغب فيها كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : زوروا القبور فانها تذكركم الموت ، وفيه عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج الى أهل البقيع فيدعو لهم كما جاء ذلك في الصحيح فهذه هي الزيارة الشرعية وهي أن يكون مقصود الزائر تذكر الآخرة والدعاء للميت والاستغفار له (١) .

---

(١) ولكن الاكثرية الساحقة منجهال المسلمين وأدعياء العلم،والعلم منهم بريء كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ، عكسوا أمر الزيارة ، فبعد أن كانت زيارة القبور مشروعة لامرين ـ الأول ليتذكر الانسان مصيره الى ما صار اليه صاحب القبر ، وليتعظ وينزجر عما هو فيه من الغي والفساد ، ويتذكر الموت الذي سيفاجئه ولا يدري متى يكون ، .. والامر الثاني أن الميت قد انقطع من عمله ويحتاج الى =

وأما ما يتوهمه بعض الناس من أن الزيارة انما شرعت لأجل التبرك بالصالحين وتحري الاجابة عند قبورهم فهو وهم فاسد مخالف لما شرعه الله ورسوله ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : ولم يكن أحد من الصحابة يقصد الدعاء عند قبور الأنبياء ولا قبور غير الانبياء ولا صلى عندها .

= الدعاء من الاحياء والاستغفار للميت ، ولكنهم قد قلبوا الوضع فشرعوا يطلبون من الميت ما لا يستطيع أن يفعله وهو حي ، فكيف وهو ميت !! مثل شفاء المرض واعطاء الولد وانزال المطر ، وكم شاهد الناس ما حل بالانبياء وبالعلماء وبالصالحين من المصائب والامراض وجور الملوك ، فما استطاعوا ان يدفعوا عن انفسهم شيئا ، فكيف اذا ماتوا يستطيعون أن ينفعوا غيرهم ، ولو فرضنا أنهم استغاثوا به أو طلبوا منه ما يستطيع فعله في الحياة ، ولكنه بعد الممات لا يستطيع أن يفعل شيئا ، قال تعالى (وما يستوي الاحياء ولا الاموات ، ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور) ، (١) وما تقوله الصوفية وبعض المخرفين من أن الارواح الطيبة اذا فارقت الابدان وتجردت من ملابسة الدنيا ، تكون اكمل في تصرفاتها ، قول باطل لا يؤيده عقل صحيح ولا نقل رجيح ، ان هي الا خرافة صوفية وبدعة شركية ما انزل الله بها من سلطان ـ سبحانك هذا بهتان عظيم ـ وكم وقع للصحابة من الاختلاف والتنازع في أمور الدين وفي السياسة ، فما لجا احد منهم الى قبره صلى الله عليه وسلم ـ يستفسره عما اشكل عليهم واختلفوا فيه ، فاذا كان هذا حال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف بغيرهم مع الرسول او مع غيره ، ولكنهم كما قال الله تعالى (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) (١) .

(١) ١٧ الكهف .

وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ـ يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التى لم يفعلها السلف ، وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال قبر معروف الترياق المجرب وقول بعضهم فلان يدعى عند قبره وقول بعض الشيوخ ان كان لك حاجة فاستغث بى أو قال استغث عند قبرى ونحو ذلك ، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين واتباعهم ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة فى الاسلام بعد القرون المفضلة وكذلك المساجد المبنية على القبور التى تسمى المشاهد محدثة فى الاسلام والسفر اليها محدث فى الاسلام لم يكن شىء من ذلك فى القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ : أنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا ، قالت عائشة : رضى الله عنها ـ ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا ، وثبت فى الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك ، وقد علم أن عمر لما أجدبوا استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون فلم يذهبوا

الى القبور ولا توسلوا بميت ولا غائب بل توسلوا بالعباس ، وكان توسلهم به(١) توسلا بدعائه كالامام مع المأموم وهذا تعذر بموته · انتهى قلت : وليت أهل زماننا اقتصروا على البدعة ودعوا الله عند قبور الصالحين ولا أشركوهم فى خالص حق الله وأنت تراهم يسافرون الى القبور من مسيرة أشهر ، وبعضهم يرى ذلك السفر أفضل من الحج الى بيت الله ويفعلون عند تلك القبور ، وفى تلك المشاهد من الشرك والكفر ما تطير منه أفئدة أهل الايمان ·

اللهم انا نعوذ بك من الشرك ووسائله والله أعلم ·

---

(١) وهنا مسألة مهمة ينبغى ان يفرق بينهما ، ولكل مسألة حكمها الاولى ـ أن يدعو المسلم الله عند قبر نبى أو صالح يقصد بذلك التبرك وسرعة الاجابة ، فهذه بدعة وذريعة الى الوثنية ولكن لم تبلغ درجة الشرك بالله ·

والمسألة الثانية ـ أن يدعو صاحب القبر بان يطلب منه شفاء مريض او قدوم غائب او تفريج هم أو قضاء دين او يعطيه ولدا او رزقا او وظيفة او زوجة او نحو ذلك فهذا هو الشرك الاكبر الذى قال الله فيه (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) =

فالشيخ لما رأى الناس وقعوا فى الشرك الاكبر بدعائهم الانبياء والصالحين ، قال ليتهم اقتصروا على الدعاء عند قبور الصالحين ، يقصد الشيخ أن هذه المسألة اهون من الثانية ، لان الاولى بدعة والثانية شرك ، ولم يقصد الشيخ ان يحبذ الدعاء عند قبور الانبياء ولا قبور الصالحين ، فتنبه ·

المسألة الثالثة

وأما المسألة الثالثة وهى مسألة التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أن يقول القائل اللهم انى أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فهى مسألة مشهورة والكلام فيها معروف عند أهل العلم . فطائفة من العلماء منعوا من ذلك سواء توسل بالنبى صلى الله عليه وسلم أو بغيره وطائفة جوزوا ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم لا بغيره ، واستدل هؤلاء بما روى الترمذى والنسائى أن النبى صلى الله عليه وسلم علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول : اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يارسول الله انى أتوسل بك الى ربى فى حاجتى ليقضيها اللهم فشفعه فى ، فاستدلوا بهذا الحديث على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته وبعد مماته ، وقالوا ليس فى التوسل به صلى الله عليه وسلم دعاء للمخلوق والاستغاثة به وانما هو دعاء ولكن فيه بجاهه صلى الله عليه وسلم ، قالوا وهذا مثل قوله فيما رواه ابن ماجه فى دعاء الخارج الى الصلاة اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم أخرج أشرا ولا

بطرا خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك أسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى جميعا انه لا يغفر الذنوب الا أنت ، هذا حاصل ما استدل به المجوزون للتوسل به صلى الله عليه وسلم (١) .

---

(١) ولهم ادلة أخرى ، فصحيحها وهو القليل منها لا يدل على ما ذهبوا اليه من جواز التوسل بالانبياء والصالحين ولم يقفوا عند حدود الجواز ، بل قالوا يسن التوسل بهم وهذه بدعة لم يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه ، واكثر تلك الادلة اما أن يكون موضوعا واما أن يكون ضعيفا ، والضعيف لا يحتج به مثال دليلهم الصحيح ، ولكن لا يثبت ما زعموا قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) (٢) فالوسيلة هنا كما ذكرها المفسرون الاجلاء كابن جرير وابن كثير والبغوى واضرابهم : هى الاعمال الصالحة فيجوز للانسان أن يتوسل باعماله الصالحة لكى يغفر الله له ذنوبه أو يقضى حاجته ، كما توسل اصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة كما فى البخارى ومسلم وسائر السنن ، فتوسل أحدهم ببره لوالديه ، وتوسل الثانى بعفته عن الزنا بعد أن تمكن من الفعل ، وتوسل الثالث بتنمية اجر أجيره حتى نما وصار مالا كثيرا وجاءه الاجير بعد فترة طويلة من الزمن ، فاخذ تلك الاموال كلها .

ومثال الموضوع ما رواه ، توسلوا بجاهى فان جاهى عند الله عظيم ، فان هذا موضوع باتفاق المحدثين . ومثال الضعيف حديث الاعمى ، وقيل صحيح ، وحديث اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك ... وغير ذلك .

وخلاصة الكلام : أن التوسل قسمان ـ جائز بل مندوب ، وهو التوسل بالايمان وباسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، والتوسل بالاعمال الصالحة ، والممنوع هو التوسل بذوات الاشخاص ولو كانوا أنبياء ومرسلين فضلا عن أن يكونوا اتقياء وصالحين ، كأن يقول اللهم انى اسألك بجاه فلان او بحق فلان ونحو ذلك ... ولكن من =

وأما المانعون من ذلك فيقولون ان صح الحديث فليس فيه دليل على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد مماته وانما فيه جواز ذلك فى حياته بحضوره ، قالوا والدليل على صحة ما قلناه أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس رضى الله عنهما فقال اللهم انا كنا اذا أجد بنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا ، وانا نتوسل بعم نبيك فاسقنا فيسقون ·

ولو كان التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد مماته مشروعا لما عدل عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم الى العباس هذا ما ذكره العلماء فى هذه المسألة ·

ونحن وان قلنا بالمنع من التوسل به صلى الله عليه وسلم ـ بهذا اللفظ أو نحوه لما نعتقده من أصحية المنع فنحن مع ذلك لا نشدد فى ذلك على

= محاسن المانعين هو ان كثيرا من العوام والجهلاء بل وبعض ادعياء العلم لا يفرق بين التوسل والاستغاثة فتراه يستغيث بغير الله · بالانبياء وبالاولياء فى الشدائد لكشف بلاء نزل به او لحاجة يريدها كان يقول يا رسول الله او يا على بن ابى طالب او ياعبد القادر الجيلانى او يا دسوقى : اشفع لى انصرنى ·· اشفنى من مرضى او نحو ذلك من الالفاظ الشركية ، ومع ذلك يقول انى توسلت بهم لعدم تمييزه بين التوسل والاستغاثة وما وقع العوام فى الشرك المبين الا من بركات أدعياء العلم المجوزين لمثل هذه الترهات والمبتدعات ، ··· هدانا الله واياهم الى سواء السبيل ·

(٢) ٣٥ المائدة ·

من فعله مستدلا بالحديث فضلا عن أن نكفره كما ينسبه الينا من لم يعرف حقيقة ما نحن عليه وكذلك قول بعضهم انا نكفر الناس بالعموم ونستبيح دماء الناس وأموالهم من غير حجة ، وكقول بعضهم انا نمنع من زيارة القبور ونكفر من فعله ونحو هذه الأقاويل التى برأنا الله منها وله الحمد ·

ونحن لا نكفر الا من كفره الله ورسوله ، ونعوذ بالله من أن نقول على الله بلا علم فى أسمائه وصفاته وشرعه وأحكامه ، فان ذلك من أعظم الذنوب كما قال تعالى (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)(١)·

---

(١) ٣٣ الاعراف ·

بيان المذاهب فى كلام الله

واذ ذكرنا مقدمة تطلع القارىء على معلومات جمة عن السلف الصالح ، وعلى معتقدهم ومنهم الحنابلة ـ ونفى ما نسب الى الحنابلة النجديين من الأمور السابقة والى السابقين ومن القول بقدم الجلد والغلاف ٠

كما تكشف له الافتراءات المنسوبة اليهم ، وتبين حقيقة قولهم فى الصفات ، والكلام صفة من صفاته جل جلاله فلنشرع الآن فى بيان المذاهب فى كلام البارىء سبحانه وتعالى ـ فنقول وبالله التوفيق :

هذه المسألة قد ضل فيها طوائف عديدة ، وحبس الامام أحمد وغيره من أجل أنه امتنع أن يقول أن القرآن مخلوق كما أوذى غيره بسببها من المأمون والمعتصم والواثق أبناء هارون الرشيد الذين تمذهبوا بمذهب المعتزلة ، وهذا بيان المذاهب :

الاول ـ الذى عليه الحنابلة ـ هو ما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين ـ أن كلام الله غير مخلوق

وأنه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء وكيف شاء ومتى شاء ، وأن الكلام صفة له قائمة له بذاته وهو يتكلم بمشيئته وقدرته بحرف وصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم ، وان لم يكن الصوت المعين قديما (١) ٠

قال العلامة ابن قدامه ـ رحمه الله ـ وهو من كبار علماء الحنابلة ، قال :

(فصل) ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة ، وسمعه جبريل عليه السلام ومن أذن له من ملائكته ورسله ، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الآخرة ويكلمونه ويأذن لهم فيزورونه ، قال الله تعالى (وكلم الله موسى تكليما)(٢) وقال سبحانه : (ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى)(٣)وقال سبحانه(منهم من كلم الله)(٤) وقال سبحانه (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب)(٥) وقال سبحانه (فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك)(٦)

---

(١) وأما القرآن فيقال : كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ٠

(٢) ١٦٤ النساء ٠ (٣) ١٤٤ الاعراف ٠

(٤) ٢٥٤ البقرة ٠ (٥) الشورى ٠

(٦) ١١ ، ١٢ طه ٠

وقال (اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبـدنى)(١) وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله ٠

وقال عبد الله بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ اذا تكلم الله بالوحى سمع صوته أهل السماء ٠ روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عبد الله بن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يحشر الله الخلائق يوم القيامة عـراة حفاة غرلا (٢) بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسـمعه من قرب أنا الملك أنا الديـان) رواه الأئمة واستشهد به البخارى ٠

وقال بعـد كلام :

(فصل) ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم ، وهـو كتـــاب الله المبيـن وحبـــله المتيـــن وصـــراطه المستقيم وتنزيـل رب العالميـن ، نـــزل بـه الـروح الأميـــن ، عـلى قلـــب سـيد المرسـلين بلســان عربى مبين منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، وهو سور محكمات وآيات بينـات ، وحروف وكلمـات ، من قـرأه فأعربه فله بكل حرف عشـر حسـنات ، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض متلو بالألسنة ، محفوظ

---

(١) ١٤ طـه ٠

(٢) غرلا : الغرل جمع الاغرل وهو الاقلف،والغرلة القلفة والبهم ليس معهم شيء وقيل أصحا ، ا ٠ هـ من النهاية ٠

فى الصـدور ، مسـموع بالآذان ، مكتـوب فى المصاحف فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهى (لا يأتيـه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(١) (قـل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتـوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(٢) ٠

وسبق كلام شيخ الاسلام فى منظومته اللامية وكلامه فى رسالته الواسطية عن كلام الله ٠

فهذه عقائد الحنابلة ، فمن أين جاء فى أقوالهم أن الجلد والغلاف قديمان ، وأن أصـوات القرأ قديمة ، ومن هنا يتبين أن ما نسبه المفترون الى الحنابلة كذب لا أصل له وبهتان عظيم ، وسيأتى زيادة بيان من كلام ابن القيم ــ رحمه الله ــ فى نونيته ٠

قال العلامة السفارينى رحمـه الله وهـو مـن متأخرى الحنابلة فى عقيدته :

والعلم والكلام قـد تعلقـــا
بكل شىء ياخليـلى مطلقـــا

---

(١) ٨٨ الاسـراء

(٢) المظهير ــ المعين ٠

وان ما جـاء مـع جبريـــــل
من محكم القـرآن والتنزيـــــل

كلامـه ســبحانه قديـــــم
أعيـا الورى بالنص ياعليـــــم

وليس فى طوق الورى من أصله
أن يسـتطيعوا سـورة من مثله

---

(١) علق الشيخ عبد الله بابطين على هذا الموضوع ما نصه :
قوله ان مذهب السلف أن كلام الله قديم وكذلك القرآن فيه نظر فان مذهب السـلف كما هو معروف أن كلام الله مما يتعلق بمشـيئته فاذا شاء تكلم ويتكلم متى يشاء كيف يشاء بلا كيف وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى كتابه التسعينية ص ١٤٣ ما نصه بالحـرف الواحد ـ الوجه الثانى أن أحدا من السلف والائمة لم يقل ان القرآن قديم وأنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته ا٠هـ وقد ذكر فى غالب ظنى ان أول من قال بالقدم عبد الله بن سعيد بن كلاب ولا ريب أن الادلة تدل على أن الله تعالى يتكلم متى يشاء ٠ كيف شاء ٠ وأن القـرآن غير قديم ، ومن ذلك قولـه تعالى (ما ياتيهم من ذكـر من ربهم محدث) وقولـه (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) ٠

فان الاخبار عن سماع المراة التى تجادل بلفظ المـاضى دليـل على سبق ذلك للخبر ولا يصح أن يكون قد قال فى الازل قـد سـمع الله قول التى تجادلك مع انهـا اى المجادلة لم تكن خلقت ويشبه ذلك قوله تعالى (واذ غدوت من أهلك تبوىء المقمنين مقـاعد للقتـال) فان الاخبـار عن ذلك بلفظ المـاضى دليـل على سبقه للخبر والادلة على ذلك كثيرة ٠ ومن المعـلوم أن الصـفات الكاملة من أعظمهـا ان الله تعالى لا يزال متكلما متى شـاء كيف شاء كمـا هو المعروف من مذهب السلف ولله الحمد والمنـة ولا يلزم من هـذا القـول ان يكون كلامه مخلوقا فان كلامه صـفة من صـفاته قد استعاذ به النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « أعوذ بكلمات الله التامات من شـر ما خلق » والاستعاذة لا تكون بمخلوق والله أعلم ٠

قال الناظم فى شرحه ناقلا عن شيخ الاسلام أحمد بن تيمية فى شرح رسالة الاصفهانى ما نصـه قد اتفق سـلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم بذاته ، وأن كلامه تعالى غيـر مخلوق ، وأنكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم فى قولهم أن كلامه تعالى مخلوق خلقـه فى غيره وأنه كلم موسى بكلام خلقـه فى الشجرة وكلم جبريـل بكلام خلقـه فى الهواء ، واتفق أئمة السـلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ٠ قال ومعنى قولهم منه بدأ أى هو المتكلم به لم يخلقـه فى غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام ٠ قال ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل الى غيره فكيف صفة الخالـق تفارقه وتنتقل الى غيره ، ولهذا قال سيدنا الامـام أحمد كلام الله ليس ببائن من خلقه فى بعض الاجسـام ٠ قال شيخ الاسـلام ومعنى قول السـلف « واليه يعود » ما جـاء فى

الآثار « ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى فى المصاحف منه حرف ولا فى القلوب منه آية » وما جاءت به الآثار عن النبى المختار صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لهم باحسان وغيرهم من أئمة المسلمين كالحديث الذى رواه الامام أحمد فى المسند وكتبه الى المتوكل فى رسالته التى أرسل بها اليه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه »(١) يعنى القرآن وفى لفظ « بأحب اليه مما خرج منه » ٠

وقال بعد كلام طويل بعنوان « مذهب السلف فى الكلام » ٠

وتحرير مذهب السلف أن الله تعالى متكلم كما مر ، وأن كلامه قديم وأن القرآن كلام الله وأنه قديم ومعانيه (٢) وقد توعد الله جل شأنه من جعله قول البشر بقوله (انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واسكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول

(١) مخ (بافضل مما خرج) ٠

(٢) بهامش مخ (انكر شيخ الاسلام رحمه الله وصف القرآن بالقدم وقال ان هذا لم يقله السلف) ٠

البشر سأصليه سقر)(١) ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين أن يقول بشر أو جنى أو ملك فمن جعله قولا لأحد من هؤلاء فقد كفر ٠ وأما قوله تعالى (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر)(٢) فالمراد أن الرسول بلغه عن مرسله

لا أنه قوله من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذى أرسله كما قال (وان أحد من المشركين استجارك فأجر حتى يسمع كلام الله)(٣) فالذى بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى المواسم ويقول (ألا رجل يحملنى الى قومه لأبلغ كلام ربى فان قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى) ٠ رواه ، أبو داود وغيره ، والكلام كلام من قاله مبتدئا به لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى عليه السلام سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض ، فسماع موسى مطلق بلا واسطة وسماع الناس مقيد بواسطة كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو

(١) من ١٨ ـ ٢٦ المدثر ٠ (٢) ٤٠ الحاقة ٠

(٣) ٦ التوبة ٠

يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء)(١) ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وكلم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، وبين التكليم بواسطة الرسول كما كلم سائر الأنبياء بارسال رسول اليهم ٠٠٠ الى أن قال « فمن قال عن القرآن الذى يقرؤه المسلمون ، ليس هو كلام الله ، أو هو كلام غيره ـ فهو ملحد مبتدع ضال ومن قال أن أصوات العباد أو المداد الذى يكتب به القرآن قديم أزلى فهو ملحد مبتدع ضال ، بل هذا القرآن هو كلام الله وهو مثبت فى المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه مسموعا من القراء ليس هو مسموعا منه تعالى ، فكلام الله(٢) قديم وصوت العبد مخلوق ٠ (١٠هـ ـ (٣) ٠

---

(١) ٥١ الشورى ٠

(٢) نقدم ما فيه ٠

(٣) من كتاب لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية فى عقد الفرقة المرضية تأليف الشيخ محمد بن أحمد السفارينى الأثرى الحنبلى ٠

كلام الحافظ ابن القيم فى النونية فى رد هذه الفرية مع كلام شارحها

وقال الحافظ ابن القيم بعد أبيات عديدة من النونية ، لزيادة الايضاح والبيان والتأكيد ورفع الالتباس والشبهة ، ولعله كان يقصد الرد على من زعم أن الحنابلة يقولون بقدم صوت القارىء ومداده وكتابته ، فقال رحمه الله :

وتلاوة القرآن أفعال لنا
وكذا الكتابة فهى خط بنان

لكنما المتلو والمكتوب والمحفوظ
قول الواحد الرحمن

والعبد يقرؤه بصوت طيب
وبضده ، فهما له صوتان

وكذاك يكتبه بخط جيد
وبضده فهما له خطان

أصواتنا ، ومدادنا وآداؤنا
والرق ، ثم كتابة القرآن

ولقد أتى فى نظمه من قال قول
الحق والانصاف غير جبان

ان الذى هو فى المصاحف مثبت
بأنامل الأشياخ والشبان

هو قول ربى ايه وحروفه
ومدادنا والرق مخلوقان

فشفى وفرق بين متلو ومصنوع
وذاك حقيقة العرفان

الكل مخلوق وليس كلامه
المتلو مخلوقا ، هنا شيئان

فعليك بالتفصيل والتمييز
فالاطلاق والاجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبطا
الأذهان والآراء كل زمان

وتلاوة القرآن فى تعريفها
باللام قد يعنى بها شيئان

يعنى بها المتلو فهو كلامه
هو غير مخلوق كذى الأكوان

ويراد أفعال العباد كصوتهم
وآدائهم ، وكلاهما خلقان

فانظر الى كلامه ـ رحمه الله ـ حيث أكد غير مرة أن المداد والأداة والرق والكتابة كلها

مخلوقة ، وأفاد فائدة جديدة حاثا عليها وهى ـ انه يجب أن نفرق بين التلاوة والمتلو ، وبين الكتابة والمكتوب ، وأن لا نحكم حكما اجماليا مطلقا بغير تفصيل فانه ما أفسد هذا الوجود ، وأوقع هذا الشجار والنزاع بين الطوائف ، وأضل العقول والأفكار ، الا عدم التفصيل والبيان ، والتحديد لمعانى الألفاظ المجملة التى يقع فى معانيها احتمال واشتباه وبعض هذه المعانى يكون صحيحا مرادا وبعضها يكون فاسدا غير مراد ، فتشبث طوائف المبتدعة بتلك المعانى الفاسدة ، وتفسر الألفاظ بها ، فتقع فى الضلال ولهذا أوصى بما أوصى شيخه به من قبل ، مبينا أن الفساد كله انما ينشأ عن الاطلاق والاجمال ، ففى المسألة التى معنا لا يجوز ـ مثلا ـ اطلاق القول بأن القرآن مخلوق أو غير مخلوق ، بل يجب التفصيل :

فاذا كان المراد بالقرآن نفس الفاظ القارىء وصوته وآداؤه فذلك ولاشك مخلوق ، وأما ان كان المراد به المتلو المؤدى ، فهذا كلام الله غير

مخلوق ، وكذلك لفظ التلاوة ، اذا عرف باللام كان محتملا لمعنيين ، أن يراد به المتلو ، فيكون غير مخلوق كهذه الأكوان المخلوقة ، وقد يراد به أفعال العباد من أدائهم وأصواتهم فهذا مخلوق وقد اشتبه على كثير من الناس، ولم يهتدوا للفرق بين الأمرين ، ومن أجل ذلك لما سئل الامام أحمد ـ هل لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ فقال « لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق ·· فأنكر عليه من لم يفهم معنى كلامه نفى الضدين، واهتدى أولوا المعرفة الى سر ذلك النفى وحكمته ، وذلك أن كلمة اللفظ من الكلمات المجملة التى لا يجوز الحكم عليها بنفى أو اثبات قبل التفصيل ومعرفة المراد منها ، فانها تصلح أن تكون مصدرا بمعنى التلفظ وهى بهذا المعنى فعل العبد ، وهو مخلوق ، وتصلح أن يراد بها نفس الملفوظ به وهو القرآن ، وهو بهذا المعنى غير مخلوق ·

ولأجل احتمال المعنيين ، أنكر الاطلاق فى الاثبات والنفى قبل التفصيل والبيان الذى

يحصل به التمييز بين المعنيين ومعرفة المراد منهما انتهى ·

الثانى ـ أنه مخلوق ، خلقه الله منفصلا عنه ، وهذا قول المعتزلة ·

الثالث ـ أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الأمر والنهى والخبر والاستخبار ، ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة ، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعرى وغيره ·

الرابع : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة فى الأزل ، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث ·

الخامس ـ أنه حروف وأصوات ، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما ، وهذا قول الكرامية وغيرها ·

السادس ـ أن كلامه يرجع الى ما يحدثه من علمه وارادته القائم بذاته ·· وهذا يقول صاحب المعتبر ويميل اليه الرازى فى المطالب العالية ·

السابع ـ أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه فى غيره ·· وهذا قول أبى منصور الماتريدى ·

الثامن ـ أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات ، وبين ما يخلقه فى غيره من الأصوات ·· وهذا قول أبى المعالى ومن تبعه ·

وبما أن أشهر هذه الأقوال ، هو قول السلف وعليه الحنابلة ، وقول المعتزلة والجهمية وقول الأشاعرةوهذه الاقوالهى التى شحنتبها الكتب ولها حتى الآن نصراء ، ويحصل فيها الجدل والنقاش ، نذكر حجج كل فريق ، وبيان ما هو الصواب منها بطريق الاختصار ، اذ بحث الكلام قد دونه العلماء الأعلام ، وأطال فيه بعضهم اطالة مسهبة ، فلا يمكن استقصاؤه فلذلك نكتفى بما يلى : ـ

حجة السلف على اتصاف الله بالكلام

حجة السلف ومنهم الحنابلة ، على اتصاف الله بالكلام · القرآن ، والسنة واجماع الصحابة والتابعين والعقل ·

أما القرآن: فايات كثيرة يعسر استقصاؤها ولذا نذكر بعضها : ـ

(١) ـ قال تعالى : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الآية(١) ·

(٢) ـ قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (٢) ·

(٣) ـ قوله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) (٣) ·

(٤) ـ قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) (٤) ·

---

(١) ١٤٣ الاعراف ·
(٢) ٦ التوبة ·
(٣) ٧٥ البقرة ·
(٤) ٢٥٣ البقرة ·

(٥) ـ قال الله (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما)(١) ٠

وأنظر كيف أكده بالمصدر بقوله (تكليما) رفعا لتوهم عدم الحقيقة ٠

(٦) ـ قوله تعالى (حم تنزيل من الرحمن الرحيم)(٢) ٠

(٧) ـ قوله تعالى (يسن والقرآن الحكيم ، انك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم)(٣) ٠

ومن السنة : ـ

قوله صلى الله عليه وسلم (ما من عبد الا سيكلمه الله يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان) ٠

روى البيهقى فى الأسماء والصفات ، عن عبد الله بن مسعود قال ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل اذا تكلم بالوحى

---

(١) ١٦٤ النساء ٠ (٢) ١ ، ٢ فصلت ٠
(٣) ١،٢،٣،٤،٥ يسن ٠

سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام ، فاذا جاءهم جبريل ، فزع عن قلوبهم ، قال : فيقولون ياجبريل ماذا قال ربك ؟ قال : فيقول الحق ٠ قال فينا دون الحق الحق) رواه أبو داود مرفوعا ٠

وأما الاجماع : ـ

فقد أجمعت الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان ـ قبل حدوث أهل الضلال ـ على أن الله لم يزل متكلما متى شاء وكيف شاء ٠

وأما البرهان العقلى : ـ

فان العقل يحكم أن التكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص ، وكل كمال لا يستلزم نقصا بوجه من الوجوه ، فالله أولى أن يوصف به فاذا ثبت أن الكلام صفة كمال فى المخلوق ، فالخالق أولى به ، ومعطى الكمال أحق بالكمال ٠

فلو نفينا عنه الكلام لكان غيره أكمل ، وكفى بذلك قبحا ٠

والدليل على أنه من أوصاف الكمال : أن الله وبخ عباد العجل ، وأبان قلة افهامهم ، كما بين بطلان الوهيـة العجل من حيث أنه لا يتكلم ، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ، فقال الله (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا)(١) وفى آية أخرى (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا)(٢) .

وقال فى وصف المنافقين (صم بكم عمى فهم لا يرجعـون)(٣) .

---

(١) ١٤٨ الاعـراف .
(٢) ٨٩ طـه .
(٣) ١٩ البقرة .

شبهات المعتزلة النقلية

للمعتزلة شبهات على قولهم (ان كلام الله مخلوق ، خلقه منفصلا عنه فى بعض الاجسام).

الاولى ـ قالوا ، قال الله (الله خالق كل شىء)(١) فالقرآن شىء ، فيكون داخلا فى عموم (كل) فيكون مخلوقا .

والجواب من وجوه :

الاول : ان هذا الاستدلال عجيب جدا من هؤلاء ، وبيان ذلك أنهم لا يعترفون ولا يعتقدون أن أفعال العباد مخلوقة لله ، فاذا كان العموم مرادا من قوله (الله خالق كل شىء)(١) فلماذا أخرجوا أفعال العباد .

مع العلم أننا نقول : كلام الله صفة من صفاته به تكون الأشياء المخلوقة ، اذ بأمره تكون المخلوقات ، قال الله تعالى (والشمس والقمر

---

(١) ٩٢ الزمر .
(٢) ٩٢ الزمر .

والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر)(١) ·

ففرق بين الخلق والأمر ، فلو كان الامر مخلوقا ، لكان مخلوقا بأمر آخر ، والأخر بأخر الى ما لا نهاية له ، ويلزم منه التسلسل وهو باطل كما لا يخفى ·

الثانى : عموم (كل) فى كل موضع بحسبه، ألا ترى قوله تعالى اخبارا عن بلقيس : « وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم » ·

فان المراد من كل شيء يحتاج اليه الملوك وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام ، وهو من أنواع التخصيص عند أهل الأصول ·

واذ عرفت ما ذكرنا لك ، فاعلم أن المراد من قوله (الله خالق كل شيء) أنه خالق كل موجود

(١) ٥٤ الاعراف ·

سوى الله فدخل فى هذا العموم أفعال العباد ، ولم يدخل فيه ألخالق وصفاته ، والكلام صفة من صفاته ·

وقول المعتزلة (أن الله خلق الكلام منفصلا عنه فى بعض الأجسام) ·

فيقال فى جوابهم : ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل ، فاذا قام الكلام بمحل · كان هو المتكلم به ·

كما أن العلم والقدرة اذا قاما بمحل ، كان العالم القادر ·

ولو كان كما تقول المعتزلة ، لكان الكلام كلام ذلك الجسم الذى خلقه فيه ، فكانت الشجرة هى القائلة (انى أنا الله رب العالمين)(٢) وتصور هذا كاف فى بطلانه ·

الشبهة الثانية :

(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا

(١) ٩٢ الزمر · (٢) ٣٠ القفص ·

استمعوه وهم يلعبون)(١) الآية ٠

والجواب : أن المعنى محدث فى النزول ٠

الشبهة الثالثة :

قوله تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا)(٢) – ومعنى جعل : خلق ٠

والجواب : ما أفسد هذا الاستدلال ، لأن جعل اذا كان متعديا الى مفعول واحد ، يكون بمعنى خلق وكقوله (وجعل الظلمات والنور)(٣) ، وقوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شىء حى)(٤) ٠

وأما اذا تعدى الى مفعولين ، فلا يكون بمعنى خلق ٠ كقوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم)(٥) ٠ فهل يقول عاقل : ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم) ، وقوله (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)(٦) وكالآية التى استدلوا بها ٠

فهل يقول عاقل ، بمعنى جعلتم الله فى هذه الآية ، خلقتم الله ؟ بل جعل هنا بمعنى صير كما هو غير خاف ٠

---

(١) ٢ الانبياء ٠ (٢) ٣ الزخرف ٠
(٣) ١ الانعام ٠ (٤) ٣٠ الانبياء ٠
(٥) ٢٢٤ البقرة ٠ (٦) ٩١ النحل ٠

اعتراض المعتزلة على احتجاج أهل السنة وجوابهم لهم

اعترضت المعتزلة على احتجاج أهل السنة بقوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم)(١) وسائر الآيات التى فيها لفظ التنزيل مثل قوله (تنزيل من حكيم حميد)(٢) ان هذا نظير انزال المطر ، أو انزال الحديد فليس بمثل هذه الآيات حجة على أن القرآن غير مخلوق ٠

وأجاب أهل السنة : أن انزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء ، كما قال الله (وأنزلنا من السماء ماء طهورا)(٣) وفى آية أخرى (من المعصرات) وهى السحاب ٠

وأما انزال القرآن فمذكور بأنه انزال من الله كقوله تعالى (تنزيل من الرحمن الرحيم)(٤) وقال تعالى (انا انزلناه فى ليلة مباركة ، انا كنا منذرين)(٥) ٠

وانزال الحديد والأنعام مطلق ، فكيف يشبه هذا الانزال بهذا الانزال ، فالحديد انما يكون

---

(١) ٢ غافر ٠ (٢) ٤٢ فصلت ٠
(٣) ٤٨ الفرقان ٠ (٤) ٢ فصلت ٠
(٥) ٣ دخان ٠

من المعادن التى فى الجبال ، وهى عالية على الأرض ، وقد قيل : انه كلما كان معدنه أعلى كان حديده أجود ٠

والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم انزال الذكور الماء من أصلابها الى أرحام الاناث ، ولهذا قال أنزل ولم يقل نزل ، ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها أناثها عند الوطء ، وينزل ماء الفحل من علو الى رحم الأنثى ، وتلقى ولدها عند الولادة من علو الى سفل ، وعلى هذا فيحتمل قوله (وأنزل لكم من الأنعام)(١) وجهين أحدهما : أن تكون (من) لبيان الجنس ٠

الثانى : أن تكون (من) لابتداء الغاية ٠

وهذان الوجهان يحتملان فى قوله تعالى (جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا(١)،(٢) ٠

واعترضوا ثانيا على قول أهل السنة فى احتجاجهم أن الكلام صفة لله لأن الله أضافه الى نفسه حيث قال (وكلم الله موسى تكليما) وقال (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)(٣) ٠

---

(١) ٦ الزمر ٠ (٢) ١١ الشورى ٠

(٣) ٦ التوبة ٠

قالوا فى اعتراضهم : ان الاضافة للتشريف كبيت الله ، وناقة الله ، فلا تقتضى أن تكون صفة ٠ ٠ ٠ وأجاب أهل السنة : أن الاضافة نوعان :

(١) اضافة أعيان : كالبيت والناقة ، فهذه للتشريف والتنويه لما فيه من الصفات العظيمة ٠

(٢) اضافة المعانى : كعلم الله وقدرته وكلامه فهى من اضافة الصفة للموصوف ٠

للمعتزلة شبهات عقلية على اتصاف الله بالصفات عموما ، والكلام خصوصا

(١) قالوا ما معناه : من المعلوم الثابت عقلا ونقلا وفطـرة ، أن الله واحد فرد ، قديم أزلى ، وعلى ذلك جميع المسلمين ، فاذا وصفناه بصفات عديدة ، كصفة العلم والسمع والبصر والكلام ، وقلنا كلها قديمة أزلية ، لزم تعدد القدماء ، وقد كفرت النصارى بالتثليث ، فكيف بهذه الصفات العديدة ؟

والجـواب :

أولا : لا ينبغى لمن كان مسلما مؤمنا ، أن ينكـر ما ثبت لله فى القـرآن وفى السـنة الصحيحة ، بمثل هذه التشكيكات القبيحة ، بل عليه الايمان والتسليم ، ويجزم أن عقله قاصر مهما بلغ وعلا وارتقى ، أن يدرك كنه ذاته تعالى أو صفاته ·

فاذا كان لا يدرك كنه كثير من المخلوقـات ، كالروح والعقل ، فكيف يمكنـه أن يدرك كنه الله أو صفاته ؟

واذا كان لا يدرك ، فهل ينكر ؟ لا بل يجب أن

يؤمن ويسـلم ، لأن الشـرائع لا تأتى بما يحيله العقل ، بل بما يدركه أو يحير فيه ·

وأى عاقـل يقول : اذا كنا لا نـدرك حقيقـة الروح والعقل والكهرباء ، يجب علينا أن ننكرها

وثانيا : يلزم تعدد القدماء لو قلنا بتعدد الذوات أما تعدد الصفات لذات واحـدة ، فلا يلزم ذلك وليس فيه محذور ·

(٢) قالوا ما معناه : لو وصفنا الله بالصفات المذكـورة ، وبالصفات التى تثبتها السـلف ، كصفة الرحمة والغضب والاستواء ، لزم تمثيل الله بخلقـه وتشـبيهه بهم ، لأن هذه من صفات المخلوقين ·

فالجـواب :

أولا : يفهم من الجواب السابق ·

ثانيا : معاذ الله أن نقول بالمثلية والتشبيه ، كيف وقد قال الله (ليس كمثله شىء وهو السميع والبصير) فالكلام فى الصفات ، فرع عن الكلام فى الذات ـ كما سبق ـ فكما أن ذاته لا تشـبه ذوات المخلوقين ، فكذلك صفاته ·

ويلزم من قولهم أن القرآن مملوء من تمثيل الله وتشبيهه بخلقه ، لأن القرآن طافح بصفات عديدة

لله يعز استقصاؤها ، ولو كان لقولهم أصل لثبت عن رسول الله وأصحابه والتابعين بأن يؤولوها كما تزعم المعتزلة وسائر المؤولة ، ولا يسع المسلم الصحيح الا ما وسعهم،والبحث فى هذا يطول ، وقد تكلفت كتب أئمة السنة برد هذه الشبه الواهية ، وقد مر بعض ذلك فى أوائل البحث ·

(٣) فى خصوص الكلام قالت المعتزلة : اذا كانت ذات البارىء بالاتفاق وصفاته ــ على حد تعبيركم أهل السنة ، واحدة لا تتجزأ(١) فمحال أن يكون القرآن كلام الله ، على معنى أنه صفة من صفاته لأنه لو كان كذلك لكان هو وذاته وبقية صفاته شيئا واحدا ، ونحن نرى أن فى القرآن أمرا ونهيا وخبرا واستخبارا ، ووعدا ووعيدا ، فهذه حقائق مختلفة ، وخصائص متباينة ·

ومن المحال أن يكون الواحد متنوعا الى خصائص مختلفة ــ ا·هـ·

والجواب : أن نقول الحمد لله على نعمة العقل والهداية للاسلام ، والعقيدة الصحيحة ،والحمد لله الذى عافانا مما ابتلاهم·

---

(١) هذه ألفاظ مبتدعة ككلمة الجوهر والعرض ، ولكن ذكرتها مسايرة للمعتزلة والمتكلمين لأننا فى صدد البحث عنهم ·

يزعم هؤلاء أنهم لا يثقون بالنقل ، ويلجؤون الى العقل ، أو يرجحونه على النقل ، ويقولون : نبنى عقائدنا على القواعد العقلية ، لأنه يسلم بها كل عاقل (١) ولو كان كافرا ·

---

(١) يقال :ليس الامر كما زعموا ،اذ العقول تختلف ،فقدترى بعض العقولحسن شىء ،فى حينأن عقولا أخرى تحكم بقبحه،ولذا لما رجعت الجهمية والمعتزلة ، وسائر الطوائف المنحرفة الى عقولهم وحكموها تفرقوا واختلفوا ، فالمعتزلة اكثر من عشرين فرقة ، والشيعة كذلك ، والحاصل أن الامة الاسلامية تفرقت الى ثلاث وسبعين فرقة ·
ولنمثل : اتفقت المعتزلة والجهمية فى تحكيم عقولهم ، فى نفى الكلام ونفى الصفات عن الله ، وبعد هذا الاتفاق اختلفوا فى أفعال العباد ·
فقالت الجهمية « ان العبد مجبور لا فعل له البتة ، بل يخلق الله جميع أفعاله ، فاستنتجوا بعقولهم بما أن الله هو الخالق الحقيقى وبعض الآيات تسند العقل اليه ، فحكموا بأنه مجبور ·
وقالت المعتزلة « انه حر مختار ، يفعل ما يشاء بغير ارادة الله ، لانه يقبح فى العقل أن يعذب العبد على الفعل المنهى عنه ، وهو خالقه وخالق فعله ·
فلو رجعوا الى الكتاب والسنة وحكموا الوحيين ، واستضاءوا بنور الكتاب والسنة أولا ، وبالعقل الصحيح ثانيا لعرفوا أنهم مخطئون جميعا ، وعرفوا أن الحق ما عليه أهل السنة والجماعة ــ من أن الله هو الخالق لكل شىء من الاعيان والاوصاف والافعال وغيرها ــ
وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات ، فلا يقع منها شىء الا بتلك المشيئة ·
وأن خلقه ــ سبحانه ــ الاشياء بمشيئته ، انما يكون وفقا لما علمه منها بعلمه الازلى ، ولما كتبه وقدره فى اللوح المحفوظ ·
وأن للعباد قدرة وارادة ، تقع بهما أفعالهم وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الافعال بمحض اختيارهم، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء ، اما بالمدح والمثوبة ، واما بالذم والعقوبة ·
وأن نسبة هذه الافعال الى العباد فعلا لا ينافى نسبتها الى الله ايجادا وخلقا ، لانه هو الخالق لجميع الاسباب التى وقعت بها ·

هكـذا زعموا ٠٠٠

ونحن نقول : أى عقل هذا ، يحكم أن الكلام اذا كان أمرا ونهيا ، ووعدا ووعيدا ، فانه ينافى الوحدة لأنه يحصل تغيير فى ذات المتكلم ٠ كما يفهم من كلامهم ٠

ونقول ثانيا ـ أن الله ـ جل جلاله ـ واحد فى ذاتـه وفى صفاته ، والكلام صفة من صفاته ، والامر والنهى والوعد والوعيد من أنواع الكلام والتنوع فى الكلام لا فى ذاته ، فأى استحالة فى هذا ؟ وأين المحذور الذى زعموه ؟ ٠

والمتكلم البشرى اذا نوع كلامه من خبر الى أمر الى نهى ، فهل يقال انها خصائص مختلفة ؟ وانها تؤثر على ذات الانسان ؟ والله أعلى من أن تضرب له الامثال ، ولكن له المثل الأعلى والصفات العـلى ٠

(٤) قالوا ـ اذا كان الكلام أزليا ، وهو صفة من صفاته ، ترتبت على ذلك أمـور مستحيلة ، منها : أن الأمر لا قيمة له ما لم يصادف مأمورا الا اذا كان هناك مأمورون بالصلاة ، ولا كتب عليكم الصـيام الا اذا كان هنـاك مأمـورون بالصيام ٠

ومن المسـلم به ، أن فى الأزل لم يكن هنـاك

مأمـور بالصلاة والصيام ، ومحـال أن يكون المأمور معدوما ٠

ثانيا : يلزم من ذلك أن يكون الكلام من غيـر مكلم وهذا من المستحيلات ٠

ثالثـا : الخطاب مع موسى ، غير الخطاب مع محمد ، ومناهـج الكلامين مع الرسـولين مختلفة ٠ ويستحيل أن يكون ٠ معنى واحدا ، هو فى نفسـه كلام مع شخص على معان ومناهج ، وكلام مع شخص آخر ، على معان ومناهج أخرى ثم يكون الكلامان شيئا واحدا ومعنى واحدا ٠

الجـواب :

أن هذه الأمور التى ذكرتها المعتزلة ، من أنها تترتب على الكلام الأزلى ، وهو صفة من صفاته أو نقول ـ هذه الشبهات التى ذكروها ترد على الأشاعرة القائلين بالكلام النفسى كما سـيأتى مذهبهم ـ لا علينا معشر السلفيين ٠

لأننا نقول « كلام الله من حيث هو صفة له ، وهو من صفات الذات والفعل »٠

وأما خطابه لموسى بقوله (انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى)(١) ، ولنبينا محمد

---

(١) ١٤٤ الاعـراف ٠

صلى الله عليه وسلم بقوله (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك)(١) ٠٠ فقد حصل كل واحد من الخطابين فى وقته لا فى الأزل ٠

وكذلك الأوامر والنواهى القرآنية ، حصلت بعد ما أرسل الله الرسول ، وآمن بعض الناس لا فى الأزل ، الا أمر تبليغه الرسالة فقد حصل قبل أن يؤمن أحد ٠

(٥) قالوا « قال الله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (١) ٠
والمسموع حادث لأنه لا يكون الا حرفا وصوتا ٠

والجواب :

نحن قائلون بأن الله يتكلم بحرف وصوت خلافا للأشاعرة وغيرهم ٠

ودليلنا على الحرف ما ورد فى الحديث الصحيح ، عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفا من كتاب الله ، فله عشر حسنات)٠

وأما الصوت ـ فقد ورد فى الحديث الصحيح (أن الله ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان) ٠

---

(١) ٦٧ المائدة ٠ (٢) ٦ التوبة ٠

والنداء لا يكون الا بصوت ، ولكن لا يماثل صوت المخلوقين ٠

فى شرح البخارى ـ ومن نفى الصوت ، يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحدا من ملائكته ولا رسله كلامه ، بل ألهمهم اياه الهاما ، قال « وحاصل الاحتجاج للنفى ، الرجوع الى القياس على أصوات المخلوقين ، لأنها التى عهدت ذات مخارج ، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة ، ولئن سلم فيمنع القياس المذكور ، لأن صفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين ٠

وحيث ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة ، وجب الايمان به ٠

وقال ابن حجر أيضا فى موضع آخر من شرح البخارى « قوله صلى الله عليه وسلم (ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب ، كما يسمعه من بعد) حمله بعض الأئمة على مجاز ، يأمر من ينادى فاستتبعه بعض من أثبت الصوت، لأن فى قوله (يسمعه من بعد) اشارة الى أنه ليس من المخلوقات ، لأنه لم يعهد مثل هذا عنهم ، وبأن الملائكة اذا سمعوا صعقوا ، واذا سمع بعضها بعضا لم يصعقوا ٠

قال « فعلى هذا صوته صفة من صفات ذاته ليس يشبه صوت غيره ، اذ ليس يوجد شىء من صفات المخلوقين ·

قال « وهكذا قرره المصنف ـ يعنى الامام البخارى ـ فى كتاب خلق أفعال العباد ، اهـ ·

فان قيل أن هذه أحاديث آحاد لا تفيد الا الظن والعقائد ينبغى أن تبنى على العلم والقطع ·

الجواب :

أن هذا القول اخترعه المتكلمون من المعتزلة واغتر به بعض السنة ، وهو قول باطل فيه هدم لكثير من العقائد والشرائع ، ومن المستحسن أن نذكر بعض الأدلة على قبول ذلك ·

بعض الأدلة على قبول خبر الآحاد

الأول : أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسل الرسل الى ملوك العرب وغيرهم ، يدعوهم الى الاسلام · ومعلوم أن المرسل من الرسول كان رجلا واحدا أو اثنين ومعه كتاب ، ولم تكن تلك الرسالة بدرجة التواتر ومع ذلك أسلم من أسلم ورأى أن الحجة قد قامت على من أبى ، بواسطة ارسال ذلك الرسول ، ولو لم تقم الحجة على المرسل اليهم بارسال الرسول أو الرسولين ، ويجب عليهم أن يقبلوا خبر رسول الرسول ويسلموا · لما أرسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسله الى كسرى وقيصر ، وملك اليمامة وابنى الجلندى ملك عمان وغيرهم ·

كما أنه أرسل معاذا الى اليمن وقال « انك تأتى قوما أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله ، وفى رواية ـ الى أن يوحدوا الله ، فان هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ـ الحديث أخرجه البخارى ومسلم ·

الثانى : أن المسلمين لما أخبرهم العدل الواحد وهم بقباء فى صلاة الصبح ، أن القبلة قد

حولت الى الكعبة قبلوا خبره وتركوا الجهة التى كانوا عليها ، واستداروا الى القبلة ، ولم ينكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بل شكروا على ذلك ، وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الأولى ·

فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد ، لم يتركوا المقطوع به ، المعلوم · لخبر لا يفيد العلم وغاية ما يقال فيه أنه خبر اقترن به قرينة ، وكثير منهم يقول « لا يفيد العلم بقرينة ولا غيرها وهذا فى غاية المكابرة » ·

ومعلوم أن قرينة تلقى الأمة له بالقبول وروايته قرنا بعد قرن ، من غير نكير ، من أقوى القرائن وأظهرها · فبأى قرينة فرضتها ، كانت أقوى منها ·

والثالث : قوله (ولا تقف ما ليس لك به علم) الاسراء ـ٣٦ ـ أى لا تتبعه ولا تعمل به ، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ويعملون بها ، ويثبتون لله تعالى بها الصفات ، فلو كانت لا تفيد علما لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الاسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم ·

الرابع : قوله تعالى (يأأيها الرسول بلغ ما

أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته)(١) وقال تعالى (وما على الرسول الا البلاغ المبين)(٢) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم (بلغوا عنى ولو آية) وقال لأصحابه فى الجمع الاعظم يوم عرفة (أنتم مسئولون عنى فماذا أنتم قائلون) ، قالوا « نشهد انك بلغت وأديت ونصحت ·

ومعلوم أن البلاغ هو الذى تقوم به الحجة على المبلغ ، ويحصل به العلم ، ولو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذى تقوم به حجة الله على العباد ،فان الحجة انما تقوم بما يحصل به العلم ·

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه ، فتقوم الحجة على من بلغه ·

وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته ، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة ، ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة ، أو دون عدد التواتر ، وهذا من أبطل الباطل ·

(١ ، ٢) سورة المائدة ·

فيلزم من قال ان اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لا تفيد العلم أحد أمرين :

اما أن يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ غير القرآن ، وما رواه عنه عدد التواتر وما سوى ذلك لم تقم به حجة ولا تبليغ ٠

واما أن يقول « أن الحجة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علما ، ولا يقتضى عملا ، واذا بطل هذان الأمران ، بطل القول بأن أخباره صلى الله عليه وسلم ـ التى رواها الثقات العدول الحفاظ وتلقتها الأمة بالقبول ، لا تفيد علما وهذا أمر ظاهر لا خفاء به ٠

الخامس : قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)(١) ٠ فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر وهم أولو الكتاب والعلم ،ولولا أن اخبارهم تفيد العلم ٠ لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علما ، وهو سبحانه لم يقل سلوا عدد التواتر بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقا ، فلو كان واحدا لكان سؤاله وجوابه كافيا ٠

السادس : ان هؤلاء المنكرين لافادة أخبار النبى صلى الله عليه وسلم ـ العلم ، يشهدون شهادة جازمة قاطعة على ائمتهم بمذاهبهم

---

(١) ٤٣ النحل ٠

وأقوالهم أنهم قالوا ، ولو قيل لهم أنها لم تصح عنهم لأنكروا ذلك غاية الانكار وتعجبوا من جهل قائله ، ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم الا الواحد أو الاثنان والثلاثة ونحوهم لم يروها عنهم عدد التواتر ، وهذا معلوم يقينا ٠

فكيف حصل لهم العلم الضرورى أو المقارب للضرورى بأن أئمتهم ومن قلدوهم دينهم أفتوا بكذا وذهبوا الى كذا ، ولم يحصل لهم العلم بما أخبر به أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وسائر الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بما رواه عنهم التابعون وشاع فى الأمة وذاع ، وتعددت طرقه وتنوعت ، وكان حرصه عليه أعظم بكثير من حرص أولئك على متبوعيهم ٠ ٠ ٠ان هذا لهو العجب العجاب ٠

وهذا وان لم يكن نفسه دليلا لكنه يلزمهم أحد أمرين : أما أن يقولوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتاواه وأقضيته تفيد العلم ، واما أن يقولوا أنهم لا علم لهم بصحة شىء مما نقل عن أئمتهم وأن النقول عنهم لا تفيد علما ٠ ٠ ٠ واما أن يكون ذلك مفيدا للعلم بصحته عن أئمتهم دون المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من أبين الباطل ٠

السابع : قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون

عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم)(١) وهذا يعم كل مخالف بلغه أمره صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ،ولو كان ما بلغه لم يفده علما لما كان متعرضا بمخالفة ما لا يفيد علما للفتنة والعذاب الأليم ، فان هذا انما يكون بعد قيام الحجة القاطعة التى لا يبقى معها لمخالف أمره عذر ٠

الثامن : ان التفريق بين العقيدة والأحكام العملية ، وايجاب الأخذ بحديث الآحاد فى هذه دون تلك ، انما بنى على أساس أن العقيدة لا يقترن معها عمل ، والاحكام العملية لا يقترن معها عقيدة ، وكلا الأمرين باطل ٠

قال بعض المحققين : المطلوب فى المسائل العملية أمران ، العلم والعمل ، والمطلوب فى العلميات العلم والعمل أيضا ، وهو حب القلب وبغضه ، حبه للحق الذى دلت عليه وتضمنته ، وبغضه للباطل الذى يخالفها فليس العمل مقصورا على عمل الجوارح ، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح ، وأعمال الجوارح تبع ، فكل مسألة علمية فانه يتبعها ايمان القلب وتصديقه وحبه ، وذلك عمل بل هو أصل العمل ،

---

(١) ٦٣ النور ٠

وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين فى مسائل الايمان ، حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الاعمال ، وهذا من أقبح الغلط وأعظمه ٠ فان كثيرا من الكفار كانوا جازمين بصدق النبى صلى الله عليه وسلم غير شاكين فيه ، غير أنه لم يقترن بذلك التصديق ، عمل القلب من حب ما جاء به والرضا به وارادته ، والموالاة له والمعاداة عليه ٠ فلا تهمل هذا الموضوع فانه مهم جدا ، به تعرف حقيقة الايمان ، فالمسائل العلمية عملية ، والمسائل العملية علمية ، فان الشارع لم يكتف من المكلفين فى العمليات بمجرد العمل دون العلم ، ولا فى العلميات بمجرد العلم دون العمل ٠

ومما يوضح لك أنه لابد من اقتران العقيدة فى العمليات أيضا أو الاحكام أنه لو افترض أن رجلا يغتسل أو يتوضأ للنظافة أو يصلى تريضا أو يصوم تطبيبا ، أو يحج سياحة ، لا يفعل ذلك معتقدا أن الله تبارك وتعالى أوجبه عليه وتعبده به لما أفاده ذلك شيئا ، كما لا يفيده معرفة القلب اذا لم تقترن بعمل القلب الذى هو التصديق كما تقدم ٠

فاذن كل حكم شرعى عملى يقترن به عقيدة لابد وأن ترجع الى الايمان بأمر غيبى لا يعلمه

الا الله تعالى ،ولولا أنه أخبرنا فى سنة نبيهصلى اللهعليهوسلم ـ لما وجب التصديق به والعمل به ·
ولذلك لم يجز لأحد أن يحرم أو يحلل بدون حجة من كتاب أو سنة ، قال الله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)(١) فأفادت هذه الآية الكريمة أن التحريم والتحليل بدون اذن منه كذب على الله تعالى وافتراء عليه ، فاذا كنا متفقين على جواز التحليل والتحريم بحديث الآحاد ، وأننا به ننجو من التقول على الله ، فكذلك يجوز ايجاب العقيدة بحديث الآحاد ، ولا فرق ، ومن ادعى الفرق فعليه البرهان من كتاب الله وسنة رسوله ، ودون ذلك خرط القتاد ·

التاسع : أن القائلين بهذه العقيدة الباطلة ، لو قيل لهم أن العكس هو الصواب، لما استطاعوا رده ، فانه من الممكن أن يقال : لما كان كل من العقيدة والعمل يتضمن أحدهما الآخر ، فالعقيدة يقترن معها عمل والعمل يقترن معه عقيدة على ما سبق بيانه آنفا ، ولكن بينهما فرقا واضحا من حيث أن الاول انما هو متعلق بشخص المؤمن ولا ارتباط له بالمجتمع ، بخلاف العمل فانه

(١) ١١٦ النحل ·

مرتبط بالمجتمع الذى يحيا فيه المؤمن ارتباطا وثيقا ، فيه تستحل الفروج المحرمة فى الأصل ، وتستباح الاموال والنفوس ، فالأمور العملية من هذه الوجهة أخطر من الامور الاعتقادية ، ولنضرب على ذلك مثلا موضحا : رجل يعتقد بأن سؤال الملكين فى القبر أو ضغطة القبر حق بناء على حديث آحاد ، ومات على ذلك ، وأخر يعتقد استباحة شرب قليل من النبيذ المسكر كثيره ، أو يستحل التحليل ، ويقول باباحته بعض المذاهب لدليل بدا لهم طبعا ، ولكنه ظنى طبعا ومات على هذا ، والواقع أن كلا من الرجلين كان مخطئا بشهادة السنة الصحيحة ، فأيهما كان حاله أخطر على المجتمع ؟ الذى كان واهما فى اعتقاده أم الآخر الذى كان واهما فى استباحته الفروج والشراب المحرمين ؟ · · ولذلك فلو قال قائل : ان الحرام والحلال لا يثبتان بخبر الآحاد بل لابد فيهما من آية قطعية الدلالة ، أو حديث متواتر قطعى الدلالة أيضا ، لم يجد المتكلمون وأتباعهم عن ذلك جوابا ·

أما نحن فلو كان لنا أن نحكم عقولنا فى مثل هذا الأمر ونشرع لها ما لم يأذن به الله ، كما فعل المتكلمون حين قالوا بهذا القول الباطل ـ لقلنا بنقيضه تماما ، لأنه أقرب الى المنطق السليم من

قولهم ، ولكن حاشا أن نقول به أو بنقيضه ، اذا لكل شرع ، فلا نفرق بين ما سوى الله تبارك وتعالى ، ولا نسوى بين ما فرق ، بل نؤمن بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الخبر به عنه آحادا أو تواترا ، اعتقادا أو عملا والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ·

العاشر : ان خبر العدل الواحد المتلقى بالقبول لو لم يفد العلم لم تجز الشهادة على الله ورسوله بمضمونه ، ومن المعلوم المتيقن أن الأمة من عهد الصحابة الى الآن لم تزل تشهد على الله وعلى رسوله بمضمون هذه الاخبار جازمين بالشهادة فى تصانيفهم وخطابهم ، فيقولون شرع الله كذا وكذا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلو لم يكونوا عالمين بصدق تلك الاخبار جازمين بها لكانوا قد شهدوا بغير علم ، وكانت شهادة زور ، وقولا على الله ورسوله بغير علم ، ولعمر الله هذا حقيقة قولهم ، وهم أولى بشهادة الزور من سادات الأمة وعلمائها(١) ·

---

(١) من السادس الى العاشر من أصل الاعتقاد للشيخ عمر سليمان الأشقر ·

والحمد لله على ما من علينا من اكمال هذا الجواب المتضمن لاجابة السائل ، وزيادة مسائل مفيدة تهم القارئين والباحثين ، واحسب انه أروى الغليل وأشفى العليل ·

وقد تم تحريره وتسطيره فى اليوم الثامن من شهر جمادى الآخرة عام اربعمائة والف من الهجرة ·

المؤلف

أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي

قاضي المحكمة الشرعية الأولى

بدولة قطر

شوال ١٤٠٠هـ الموافق اغسطس ١٩٨٠م

فهـرس

صفحة

خطبـة الكتـاب :

نص الســؤال ... ٥
المقارنة بين عبارة المواقف وعبارة احمد امين ... ٧
الشــروع فى الجـواب ... ٩
افتراء بعض المتكلمين على الحنابلة ... ١٠
فتنـة الحنابلة ببغـداد ... ١١
ما نسبه الراضى اليهم وشدد فى الحكم عليهم ... ١١
ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة ... ١٥
مذهب الامام احمد واتباعه فى الاصول والفروع ... ١٩
عقيدة الســلف فى صـفات الله ... ١٩
تعليق فى الرد على نافى الصفات ... ١٩
عقيدة شاملة للحنابلة من القول الســديد ... ٢٠
الاصول التى بنيت عليها فتاوى الامام احمد ومذهبـه ... ٢٦
تقسيم المتكلمين الى ثلاثة أقســام ... ٣٣
الزام المتكلمين لاهل الســنة فى قولهم بأن الله عـلى عرشـه استوى ورد الحنابلة عليهم ... ٣٨
تفرق المسلمين ورمى بعضهم لبعض بالتفسيق والتكفير ... ٤٠
افتراء الكثيرين على شيخ الاسلام ابن تيميه اعتمـادا عـلى رحلـة ابن بطـوطة ... ٤٢
تفنيـد ذلـك الافتــراء ... ٤٢

صفحة

عقيدة موجزة لشيخ الاسلام فى لاميته المشهورة ... ٤٦
النقل عن شيخ الاسلام من رسالة الواسطية فى خصوص كلام الله ... ٤٨
كلام الحافظ عبد الغنى المقدسى ... ٤٩
كلام الشيخ موفق الدين ابن قدامه ... ٥٢
الافتراء على الشيخ محمد عبد الوهاب واتباعه من الحنابلة النجديين وبيان تلك المفتريات ... ٥٧
سبب قيام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة لتوحيد الالوهية وتوحيد الاسماء والصفات ... ٥٨
تفنيد المزاعم المنسوبة للشيخ واتباعه ، وبيان معتقدهم ... ٦١
نظم جميل فى زيارة مسجد الرسول ثم قبره ... ٦٤
موقف الشيخ من التقليد والاحتفال بالمولد النبوى ... ٦٦
رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبيان ما يعتقدون وهى عقيدة وجيزة مفيدة شاملة للايمان بالصفات وما يدعو اليه والايمان بشفاعة النبى وما الى ذلك من العقائد المهمة ... ٦٩
تعليق على كرامة الاولياء وبيان بعض خرافات الصوفية ... ٧٤
جواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب عما نسب اليه من تكفير المسلمين واتلاف كتب الائمة وما الى ذلك من الاكاذيب ... ٧٦
السبب الباعث لانتشار تلك المفاهيم المغلوطة عن الشيخ محمد واتباعه ... ٨١
بيان ثلاث مسائل مهمة مما يعتقده الشيخ واتباعه نقلا من رسالة الشيخ سعد بن عتيق ... ٨٤
الاستغاثة ... ٨٥
شد الرحال ... ٩٣

صفحة

تعليق على زيارة القبور ... ٩٤
التوسل ... ٩٨
بيان المذاهب فى كلام الله ... ١٠٢
فصل ومن كلام الله القرآن العظيم ... ١٠٤
تعليق من كلام الشيخ عبد الله بابطين على السفارينى ... ١٠٦
مذهب السلف فى الكلام نقلا عن شيخ الاسلام ... ١٠٨
كلام الحافظ ابن القيم من نونيته فى رد فرية المتكلمين على الحنابلة ... ١١١
بقية المذاهب فى الكلام :
حجة السلف على اتصاف الله بالكلام ... ١١٧
شبهات المعتزلة النقلية حول كلام الله ... ١٢١
اعتراض المعتزلة على احتجاج اهل السنة وجوابهم لهم ... ١٢٥
بعض ادلة على قبول خبر الاحاد ... ١٢٧

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض